علي عليه السلام

تِبرٌ ودرٌ

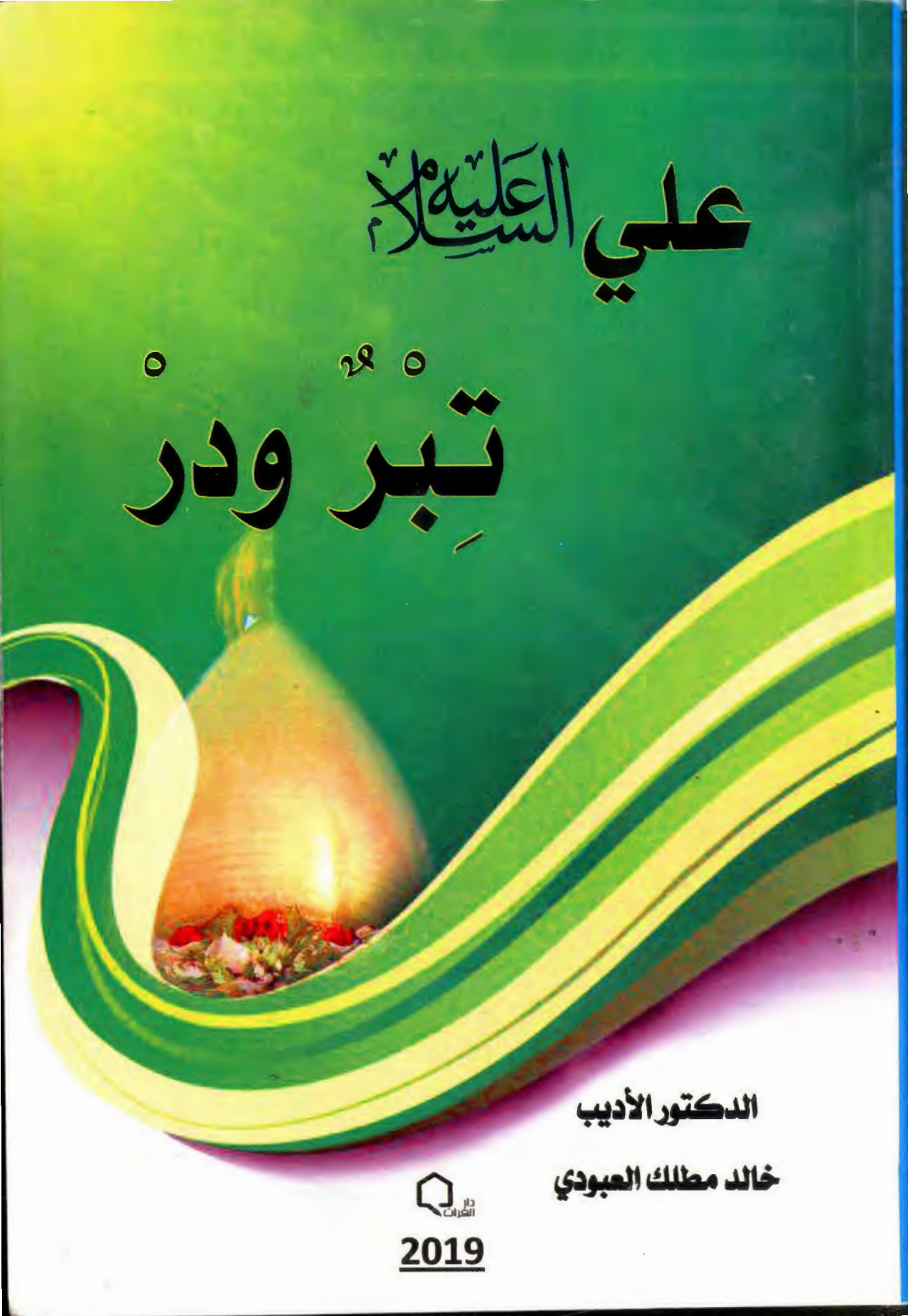

الدكتور الأديب

خالد مطلك العبودي

دار الفرات

2019

علي عليه السلام

تِبْرٌ ودرْ

علي عليه السلام

تِبْرٌ ودرٌ

الدكتور الأديب

خالد مطلك العبودي

١٤٤٠هـ ٢٠١٩م

هوية الكتاب:

اسم الكتاب: علي (ع) تِبْرٌ ودرْ.

تاليف: الدكتور خالد مطلك العبودي.

الطباعة: دار الفرات للثقافة والإعلام - العراق - بابل.

السنة: ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م.

ISBN: 978-9922-9068-2-9

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٠٩٣) لسنة ٢٠١٩م

Al-Furat House for Education and Information

Iraq – Babylon

الإهداء

أهدي كتابي.. إلى الأرض التي مدت جناحيها.. لاحتضان علي بن أبي طالب (عليه السلام).. مدينة النجف الأشراف

العبودي/ ٢٠١٩

المقدمة

قال علي بن أبي طالب عليه السلام:

"وإنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار"

الحمد لله القادر على كل شيء، يحي ويميت وهو الباقي بعد فناء كل شيء، والصلاة والسلام على أشرف أنبياء الله محمد وعلى اله وصحبه المنتجبين وسلم.الحمد لله الذي يفعل مايشاء ولا يفعل مايشاء غيره،الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله،والصلاة والسلام على أشرف أنبياء الله محمد وعلى اله الأشراف الأطهار.

سادتي:

كيف استطيع أن اصف الإمام حق الوصف ، وأؤدي واجب المقام حق الأداء ، وكلما حاولت أن أطير بقلمي إلى ارفع مستوى في البيان واعلي درجة في الأداء مع ذلك كله فالعجز عن التعبير لا يفارقني.

فقد تحير الفكر وارتعشت الأنامل وجف الحبر وتوقف القلم ولكم حق السؤال لم يحل هذا يا ترى؟ وإنا أقول لكم لأنني سأدخل الامتحان وامتحاني هو الغوص في بحر عميق أو صعودي إلى كوكب بعيد.

اجل ياسادتي إنني أغوص في بحر الكلمات لأعبر وهل يكفي التعبير لعلي بن أبي طالب عليه السلام وهل تتمكن الكلمات من ايداء حقها لولي الله. لقد تطايرت الكلمات مني وصغرت إمام هيبته وأصبحت اصغر من خيال نقطة من حروفه.

كيف أستطيع أن اصف الأمام عليه السلام حق الوصف ؟ وأؤدي واجب المقام حق الأداء ،وكلما حاولت أن أطير بقلمي إلى ارفع مستوى في البيان وأعلى درجة في الأداء مع ذلك كله فالعجز عن التعبير لا يفارقني ،والأفضل أن نذكر حياة الأمام عليه السلام بكل بساطة ،لنا في حياة العظماء معين لا ينضب من الخبرة والعبرة والإيمان والأمل ،فهم القمم التي نتطلع بشوق اليها ولهفة ،ولولا هم لتولانا القنوط في كفاحنا مع المجهول ،إننا ما استسلمنا يوما للقنوط ،ولن نستسلم ،فالنصر لنا بشهادة الذين انتصروا منا . وعلي بن أبي طالب عليه السلام منهم . وهم معنا في كل حين ،وان قامت بيننا وبينهم فترات سحيقة من الزمان والمكان ، فلا الزمان بقادر أن يختنق أصواتهم في آذانا ، ولا المكان بماح صورهم من أذهاننا .

وهذا الكتاب الذي بين يديك خير شاهد على ما أقول فهو مكرس لحياة عظيم من عظماء البشرية ،وبطولات الأمام عليه السلام ما اقتصرت يوما على ميادين الحرب ،فقد كان بطلا في صفاء بصيرته ،وطهارة وجدانه ،وسحر بيانه ،وعمق إنسانيته ،وحرارة إيمانه ،وسمو دعته ،ونصرته للمحروم والمظلوم من المحارم والظالم وتعبده للحق أينما تجلى له الحق .وهذه البطولات ،ومهما تقادم بها العهد ،لا تزال شاهدا غنيا نعود اليه اليوم وفي كل يوم كلما اشتدت بنا الوجد إلى بناء حياة صالحة ،فاضلة .

لست أريد أن استبق القارئ إلى الكشف عن مواطن المتعة في هذا الكتاب فهي كثيرة ،منها بيان مشرق يسمو هنا وهناك إلى سوامق من الصور الشعرية المشبوبة العاطفة ، الزاهية اللون .

كم انا معجب بحياة أولياء الله ؟ الذين كانوا المظهر الصحيح الكامل للانقياد والخضوع لأوامر الله تعالى وأرادته واني لا اعرف في قاموس اللغة

العربية الفاظا كافية في التعريف والتعبير عن شخصية الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام .الا اكتبها بقلم العاطفة والعقل والغلو ولا طمعا في ربح مادي للجائزة الدنيوية بل بقلم الواقع والحقيقة ،انظر إلى الحقائق واذكر انطباعاتي عنها وسيظهر صدق هذا الكلام من خلال سطور الكتاب ، ويتجلى الحق الواضح لكل من يقرا هذا الكتاب مجردا عن الاتجاهات .

كلمة العظيم لا تكفي لبيان عظمة الرجل ،وخاصة بعد إن استعملت هذه الكلمة في الكثير ممن يستحق ذلك ،مع العلم أن العظمة تتفاوت من حيث القلة والكثرة والضعف والشدة وكذلك سائر الصفات الحميدة التي يعبر عنها بالفضائل واينعت بها الرجال .

فكيف أستطيع أن اصف الأمام حق الوصف ،وأؤدي واجب المقام حق الأداء ،وكلما حاولت أن أطير بقلمي إلى ارفع مستوى في البيان وأعلى درجة في الأداء مع ذلك كله فاعجز عن التعبير لا يفارقني ،وكثيرا ماكنت أحدث نفسي بتاليف كتاب يتضمن الإشارات إلى بعض مواهب الأمام ، المقتدى لقوافل الإنسانية عبر القرون والأجيال والدهور ، ولكن التفكير حول أهمية هذا العبء الثقيل وخطورة الموقف وضالة وضعف البيان وسعة البحث كلها كانت موانع تحول دون الخوض في هذه المعركة العلمية الفكرية.

فالتحدث عن أمير المؤمنين عليه السلام يشمل التكلم عن الإسلام الصحيح في جميع مجالاته وخاصة في دور التكوين والتأسيس وعن مدى تأثير التربية الإسلامية في النفوس وتبلورها ببركة تلك التعاليم وتكهرب النفوس بنفسية النبي (صلى الله عليه واله وسلم) تلك النفسية القوية بالمبدأ الأعلى .

انه ليستحيل على أي مؤرخ أو كاتب ،مهما بلغ من الفطنة والعبقرية ،

أن يأتيك حتى في الف صفحة بصورة كاملة لعظيم من عيار الأمام علي عليه السلام ولحقبة حافلة بالإحداث الجسام كالحقبة التي عاشها . فالذي فكره وتأمله وقاله وعمله ذلك العملاق العربي بينه وبين نفسه وربه ولما لم تسمعه إذن ولم تبصره عين . وهو أكثر بكثير مما عمله بيده أو أذاعه بلسانه وقلمه .

إن علي بن أبي طالب عليه السلام من الأفذاذ النادرين الذين إذ عرفتهم على حقيقتهم بعيدا عن الصعيد التقليدي الذي درجنا على أساسه ندرس رجالنا وتاريخنا عرفت إن محور عظمتهم إنما هو الإيمان المطلق بكرامة الإنسان وحقه المقدس في الحياة الحرة الشريفة .

فقليل جدا من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين يبذرون في عقلك ويلقون في نفسك مثل هذه القاعدة الأصل من قواعد التطور وكأن عليا عليه السلام ينزع بها لسان الطبيعة وقلب الحياة (لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فأنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم).

وهذا كتابي بعنوان علي (تِبْرٌ ودر).

انحني إمام اسمه الكريم، واعتذر من كل تقصير.

رسمت لوحة حروفي من عصارة قلبي ،وحبري من بين الدرر والذهب الخالص وفرشاتي زهور معطره من أزاهير الأقحوان ،شددت على عضدي لأجمع من تلك الدرر الغالية وأصوغ إطارها من تبرها الخالص لتكن قلادة نتحلى بها ناطقة من الدرر والمرجان.

أقول : إن الله تعالى هو على كل شيء قدير ولايعجزه شيء شاء أن يظهر لعباده الفرد الكامل من خلقه ليريهم قدرته على الإبداع في الصنع ويبرهن لهم على إن من الممكن أن يقرب الله البشر إلى أعلى درجة من

الشرف يمكن للموجود أن يبلغها ، فخلق محمدا (صلى الله عليه واله وسلم) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ليكون كل واحدا مثالا كاملا للقدرة الالهية وشاهدا حيا لأرقى موجود في مراتب الصعود.

التحدث عن أمير المؤمنين يشمل التكلم عن الإسلام الصحيح في جميع مجالاته وخاصة في دور التأسيس والتكوين وعن مدى تأثير التربية الإسلامية في النفوس وتبلورها ببركة تلك التعاليم وتكهرب النفوس بنفسية النبي تلك النفسية القوية بالمبدأ الأعلى .

وإنا على يقين إن الإحاطة بجميع مزايا الإمام خارج عن نطاق البشر وقدرة البيان لأنه كالبحر لايدرك طرفاه ولايبلغ جانباه ولايمكن الغوص إلى عمقه .

فالمتحدث عن شخصية الإمام يجد أمامه عوالم غير متناهية يطير في فضائها وأرجائها ، ومهما أوتي من حول وقوة فان التعب يدركه قبل أن يدرك مداها .

ولكن ما لايدرك كله لايترك كله ، فلنذهب بالكتابة والتوكل على الله سبحانه وتعالى . والسيكم جزيل شكري واحترامي

الدكتور

الأديب خالد مطلك العبودي

١٢/تموز /٢٠١٩

ذي القعدة ١٤٤٠

كربلاء المقدسة

تمهيد

وتر الجمال

قد حار قلمي .. ماذا أسطر والحروف تتطاير ..!

همس الفؤاد .. فملأ الأكوان ...

وهتفت الروح.. بحروف الضياء.. فرقصت الأضواء ..

فداعبت أطراف النسيم ..

وتبشرت الجنة .. بتزين جنانها ..

فنثرت عبيرها ..

وعلى مساكن الإحياء .. تبعثرت الدرر فرحة

هنا .. وهناك ..

فنزل جبريل ..مهلهلا ..يهتف بالسعادة ..

فمضى ...يصافح كل قلب..

يرتشف منه الضياء.. وهنا .. تسامى النور بعد أنبثاقه من الأرض ..

ليلامس عذوبة السماء ..

وحيث الطهر التفت الأنوار.. يجمعها الاله ..

وهنا ومض السحر بالاشتياق ..

يبكي الاعتناق بتراب قدميه ..

فما عرفت الأرض الطهر الا تحت نعليه ..

وقد زرع الهوى ..

في أحشاء مكة ..

وغدت القلوب تتعارف به ..

وما عرف القلم الأرتجاف .. الا عند أشراقة بدره ..

فكيف يصف من عجزت الأنوار عن ملامسة طهره ..

فتنبثق من تحت قدميه في ذل ..

فغدت الحروف .. تتذلل كما الحصون بذكر سيفه ..

فكيف بالفؤاد وقد غرق في حب عشقه ..

فما اختبأت خيبر الا من نوره ..

وما خافت الا سيفه..

ورأيت القمر يهوى بحضنه ..

ويشتكي اليتيم وهو الكفيل بيتمه ..

علي المرتضى

ضاء اسمك

جادت به عليك عين المصطفى

وقلب كريم النفخ والشفة واللسان

وعقل بعيد الغوص والمدى والمجال

خطواتي الصغيرة الصغيرة

تنقلت بي إلى العتبات الكبيرة الكبيرة

لارسم ذكرك

لوحة جميلة على مدى الدهور

وقفت على عتبات ثلاث

فأذا خلف كل واحدة منها محراب له عمق

وله سقف مد فوق السموات

العتبة الاولى مؤدية إلى رحاب ابيك

وهي ملفوفة بالرضوان

وكانت الثانية مبلولة بالشذا النهلان بالطهر

وهي منقوشة لامك فاطمة بنت اسد

وكانت الثالثه

لابن عمك رسول الله

الرفيق الكريم لك

كم انت الوارث العظيم

كم هي الاجيال لا تزال حتى الان بحاجة اليك

ترتق لها المفاصل

وتفك عن اوكارها عقد المعاضل

بنهج بلاغتك

وعجينة امك

اتراني اصيب اذا شبهتك

بالتبر والدرر؟

ام انك لا تزال ترفل في ظلال هي منه اسخى واوفر؟

ولكن الذين كانوا مدعوين إلى تناول المنهل

بدلا من ان يتذوقوه

هدروه فيا لظى الحلق اليك .

ياتِبْرٌ ودرر

سيد الأمنيات ..

الكتابه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) صعبة غير أنها مركب مستطاع .أما الإقتداء بعلي (عليه السلام) فأنه أمر لا يمكن التحدث عنه الا بالصعوبات التي تذكرك بالمحال الذي يحتاج إلى إذلاله إلى أعاجيب القدره .على الكتابه : نذكر أن الكثيرين من الكتاب والباحثين والدارسين كتبوا عن علي(عليه السلام) الاف المجلدات والكتب والأعمال الأدبية .وأرى أن الكتابه صعبة لأن شخصية الإمام علي (عليه السلام) بالغة الثراء في جميع جوانبها . فالإحاطة -بكل هذه الجوانب -صعبة جدا ، ولكن الجهود الأنسانيه تتظافر من أجل الوصول إلى كشف جوانب معينه من عظمة علي (عليه السلام) الانسانيه الخالدة .

هذا أمر معروف غير أن الاقتداء بشخصية علي(عليه السلام) هو الذي يذكرنا بالأعمال النادرة .ثمة قاده عسكريون كبار ،ومفكرون ،وفقهاء وعظماء وبلغاء وزهاد وعباقرة وعلماء وأدباء .

وفي التاريخ هناك الأسكندر العظيم ،يعشق الفلسفة ،فيأخذ معه (أرسطو) أستاذه وهناك أفلاطون الفيلسوف وأستاذه سقراط،وهناك (بوذا ،وكو نفو شيوس)، وقادة الثورات والمصلحون ،كل متخصص في ميدانه ، أما علي بن ابي طالب (عليه السلام) فهو الحاوي على جميع سمات العبقريات ؟المتعدده ،فهو الخليفه القائد ،وهو المحارب العظيم ،وهو الفيلسوف وهو الأستاذ في العدل والمؤسس لعلم النحو ،وهو الفقيه ،القاضي ، العالم بالحساب والفلك ،وهو أمير البلاغه والشاعر والحكيم والحافظ لتراث محمد رسول الله (ص) وهو الأخلاقي الرفيع ،والأنموذج في كل شيء .

يستطيع المرء أن يتعلم عنه أشياء كثيره ، ولكن لا يستطيع أن يكون مثله .

كان علي (عليه السلام) في زمنه وحيدا الامن قلة مخلصة أخلاصا نادرا ،ومن أنصار ومؤيدين، يجتمعون ويتفرقون لأمر وأمور كان علي (ع)أعلم بها من غيره .

وحين خذلته المحنه ،في زمنه أنصفه التاريخ ،فأذا بأفواج المحبين من رجال الفكر والكفاح الأنساني ،والعدل والمعرفه يتصلون به بحسب الفكر والأيمان ونسبهما.

أصبح حب علي (عليه السلام)حقيقة موضوعية ،تأريخية يقر بها المحب والعدو .كان وحيدا في عبقرياته ،عجيبا في مسلكه لذلك لم يكن جميع أعدائه من طينة واحده .فبعض الذين حاربوه كانوا يرون فيه عدوهم الأكبر ،عدو باطلهم أو كفرهم ،أو شركهم ،أو ظلمهم ، وبعض الذين حاربوه ، رأوا فيه المقياس الذي يكشف عن بعدهم من الحق والعدل ، فحاربوه لأفتضاحهم بالمقارنة،ولعجزهم عن الأرتفاع إلى مستوى الحق والصدق.

مناجاة

سيدي أنت الهرم الذي صغرت أمامه كل الأهرامات.

أنت العندليب الذي أنشد أروع الكلمات.

أنت الينبوع الذي جفت أمامه كل الينابيع.

أنت نهج البلاغه الذي ازدانت به لغة الضاد.

أنت الحرف الذي أنزلق على شفتيك منذ أربعة عشر قرنا يأبى أن يتقلص في زمان ومكان.

أنت من نور التاريخ بأروع قصص البطولة والفداء.

أنت سلسلة الشجاعة على مر العصور والدهور.

أنت الوتر الذي عزف لحن الخلود.

أنت النبراس المتجدد، الذي أنار الطريق للاجيال.

أنت علي بطل صفين والنهروان وشهد لك باب خيبر.

وأنت أنت البطل ،صلب السيف والترس في كفيك.

أنت جبروت في شيمك ،بهاء في طلعتك، نقشت على حدودك براهين الذكاء المتوقد.

أنت من أختلف بك العارفون ،وسار على خطاك المحبون.

أنت من فقدوك وما وجدوك ،وبغيابك عرفوك.

أنت (التبروالدرر) المتوقده، والسمات المتجدده ، والحياة وفلسفتها.

والحر وف وروعتها.

سيدي علي أنت برهان الزمان ،وعنوان التواضع والحنان ، وجمال الضوء والمرجان .

أنت نفحة شجية في الأنفس.

أنت أنفاس العاشقين وقدوة العارفين.

أنت أكاليل الزهور وعطر البخورونفحات العدل وشجاعة الأبطال.

أنت عذب الفرات، والنور الذي سطع وأنار مكة والمدينة.

أنت العجائب منذ أن ولدتك أمك بين طيات جدران الكعبة

وعبر الدهور.

أنت علي الصنديد الدرع الذي حما صدر الرسول.

أنت من محمد كالنور للعين،والضياء للكون.

سيدي علي أنت ملحمة التاريخ والوجود.

أنت العدل والحكمة.

أنت من رسمت درب الحريه للأجيال.

انت يامن صدقت بالوفاء ودافعت عن الاسلام.

أنت يامن أخلص لرسول الله.

أنت يامن أهداك رسول الله ماء الكوثر بزواجك من فاطمة الزهراء.

أنت الرفعة والعز والأباء.

أنت سيدي من أقحموك بين المشاكل والاحداث.

أنت من نسج للدنيا قميصا على غير النول الذي حيك عليه قميص عثمان.

أنت من صغت للدين حساما كان من غير معدن .

أنت من أطللت على الدنيا فوق حدودها وفوق مداها.

أنت من حملت على يديك مصحف الرسالة.

أنت من بزغت نورا يعبر الجزيره والربع الخالي إلى بقاع الأرض.

أنت العملاق الذي كسب لون الشمس.

أنت الذي حيرالوصف و البيان.

أنت من علوت في الأفاق.

مدخل

هو ليس من سار على الماء

ولا الذي تجلى له الرب

وناجاه وكلمه

هو الذي مس جبينه التراب

فسمي أبو تراب

هو من يبكي بكاء اليتيم

أذا سكن الليل

لا يجد مايأكله

لأن كفه لا تمل العطاء

مازالت صيحته

تأتي من أعماق التاريخ

فزت ورب الكعبة

هو أبن عم المصطفى

وريثه وصنوه

وحامل الراية

هو علي

هو علي

هو علي

وكفى بذلك مخبرا

لا فتى في الوجود سواك

ياعلي

يا بداية تاريخنا

ويا غضبا فوق رؤوس الجناة

ويافالق الهام

حيث الفوارس هاربة

من لضى سيفك العدل

يا أول الراكضين بسوح الجهاد

وأول من قال صدقا وخط بمحرابه

سطورا من المجد بالدم

فوق جبين المعالي

هزمت الصناديد

قاتلت جيش الخيانة

تصديت للناكثين

وأسست أول دستور عدل

تصدقت في الحالتين

ركوعا وصوما

وأوصيت خيرا بمن قاتلوك

تصديت للفتن الطائفية

لهذا

سجلت النجف في تأريخ المدن الخالدة

بحرها القديم

مزاراتها

حواريها الضيقة

السراديب وضجة الموتى

عندما يقدم الليل

تلك هي النجف

يحن اليها اليتيم

ويحج اليها الفقير

يتقدم من الضريح

الذي تحفه الملائكة

يمس الشباك
فيرق القلب
وتدمع العين
وتضيء الروح بنور ربها
أنه أمير القلوب الحزينة
عندها يغادر باب الأمير
الذي أستجاب
لارواح المحبين
وفي الجانب من دجلة الحالمة
تخبئ الأمهات صواني الشموع
تطفو كل مساء فوق الماء
وأسال أمي فيأتي جوابها
أنها شموع الغائب
في الصباح
أقصد الشاطئ
بحثا عن شمعة لم تنطفئ
أجد أحلامنا معلقة
ودموعا ونساء ركبن الحافلات
بأتجاه النجف
والوذ بعباءة أمي فتغمرني
أنه أمير القلوب الحزينة
وصية يوصي علي بقاتله خيرا

بنيَ الله عليكم

طيبوا مطعمه ومشربه

كونوا أكرم منه

وصية

أذا أنا قتلت

فضربة بضربة

ولا يمثل بالرجل

فأني سمعت الرسول يقول

أياكم والمثلة ولو بالكلب العقور

نداء...

تهدمت والله أركان الهدى

وأنطمست والله أعلام التقى

وأنقصمت والله العروة الوثقى

قتل علي المرتضى

قتل أتقى الأتقياء

قتل أشقى الأشقياء

الجزيرة

أرض تعطرت بمعجزة الزمن .

أرض تخلدت بمقدم الوليد علي.

أرض تفجرت ينابيعها خيرا.

وواحاتها أينعت خضرة.

وثرواتها أزدهرت جمالا .

تحلت برطوبة الليل وأنداء الصباح .

تنفس الصبح عطرا وحنانا.

أرض تدر العسل الريان وتعطي اللبن والحنان

ضحكت الطبيعة وأرتدت ثوب عرسها.

أرض المعجزات وجنة الفردوس.

ظهر الضمير الحي.

وبرز القائد الهمام.

أطلالة الفارس المقدام.

علي بن طالب الفكر والعدل والعبقري وضوء القمر والعطر والمرجان.

أرض الجزيرة أنجبت معجزة الزمان.

الجزيرة...

من عصور الجزيرة العربية،من العرب الذين هم بين خيامها وأخبيتها وأطنابها وأعوادها ،وأبلها وشيحها ،وأرى مساجلاتها ومنافراتها ،وعفتها ووفاءها ،وصبرها وبلاءها ،وحداءها وأسواق شعرائها ،ومواقف خطبائها ،وفقرها وأقلالها ،وشحوب وجوهها ،وسمرة الوانها ،وضوي أجسامها وترددها في بيدائها بين حمارة القيظ وصبارة البرد،وتنقلها من صحراء إلى ريف ،ومن مشتى إلى مصيف ،ومن نجد إلى وهد ،ومن شرف إلى غور ،وأنتجاعها مواقع الغيث ، ومنابت العشب ،وقناعتها من الطعام بأجفان التمر وقعاب اللبن وأصواع الشعير ،فأذا جد الجد أكلت القد وأشتوت الجلد ،وتبلغت بالضب واليربوع ،وعراقيب الأبال ،وأظلاف الأبقار ،وأكتفت من اللباس بأكسية الكرابيس وأردية الأشعار ،وقمص الأوبار .

فاذا أعوزها ذلك لبست الظل ،وأفترشت الرمل ،غير ناقمة ولا ساخطة،ولا متبرمة بقضاء الله وقدره في قسمة أرزاقه بين عباده ،ولا باكية حظها من رخاء العيش ولينه.ثم أراها بعد ذلك وقد أنعم الله عليها بنعمة المدنية الأسلامية فأرى رغد عيشها،ولين طعامها وعذوبة مواردها ومصادرها ،وسرورها وغبطتها بما أفاء الله عليها .فترى مجامع أنسها ،ومجالات سباقها ،وملاعب جيادها ،ومواقف حجها ،وأزدحام شعرائها على أبواب أمرائها ، وجوائز أمرائها في أيدي شعرائها ،وأطلاق السنتها بوصف ما تشاء من الأعواد والمعزف والمزاهر والأقداح والموائد والوان الطعام حلوه وحامضه والطيور المحلقة في الأجواء ،والسفن الذاهبة ،والرياض الخضراء ،والغابات الشجراء ،والقصور وتماثيلها ،والبحيرات وأسماكها ،والأنهار وشواطئها ،والأزهار ونفحاتها والغيوث وقطراتها ، ولمحة الفكر ،وبارقة المنى .

ثم لا أشاء أن أرى بين هذا وذاك خلقا عذبا ،أو أدبا غضا ، أو حوارا مستملحا ، وأسمع الحادي أما م أبله ،والحائر اذا ظل سبيله ،والثاكل أذا فجعت بواحدها ،والكريم أذا لاح له منظرا من مناظر البؤس والشقاء ،والغريب في دار غربته ،والخائف أذا وقف بين الرضا والغضب ،والمقدم للقتل أذا وقف بين الرجاء واليأس ،والبائس أذا أعوزه القوت ،واليائس أذا أعوزه الموت ،والعزيز أذا ذل ،ولا أن أعرف خلق الدهر في تنقله بالناس ما بين رفع وخفض ،وجدة وفقر ،ونعيم وبؤس ،وأقبال وأدبار ،ولا أثر يده السوداء في خراب القصور وخلاء الدور ،وتصويح الرياض .

لم تكن الجزيرة العربية يوما بأحوج منها إلى موعد ، كالموعد الذي وافاها به الفجر البازغ بولادة محمد (صلى الله عليه واله وسلم).

ومن ثم ولادة علي عليه السلام .

لقد تمت مع هذا الصباح الأبلج ،ولادة علي طفل سوف يعجن الجزيرة بعضها ببعض ،عونا لرفيق دربه الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم).
يخلط مفاوزها بأحقافها ،وواحاتها بحراتها، ،وبواديها بشواطئها ،وينفض من أغبرة الصحارى وأوهان الدروب ،لينشر العدل الالهي بعد غياب أخيه رسول الله عن عالم الدنيا إلى عالم الخلود .
أن الوليد الذي تلقفه فجر هذا اليوم ،ولفه بهذا الهفيف من القماط هو علي بن أبي طالب عليه السلام .ليكمل المسير الذي سار عليه محمد المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم).
وكانت الجزيره شبه قارة صحراوية تمتد على رقعة كبيرة مستطيلة ،سكانها من البدو الرحل .
ويكثر الظن أنهم كانوا منذ الفجر الأول مصدرا لهجرات أنسانية ،فاضت عنها إلى ما حواليها من البقاع شمالا وغربا ،لتتأسس منها ،على التوالي ،مدنيات مختلفه .
وكان مجتمعها مشرد ومفسخ ،لا يشدهم اليه ذلك الولاء المفهوم لدى المجتمعات العريقة ...ظاهرة كهذه ترافق دائما المجتمعات الضعيفة في أقتصادها.
أما قبائلهم كانت تجمع وحداتهم المتعدده ،فهي كانت مظهرا بارزا من مظاهر حياتهم الأجتماعية ،يربط بها وحدها ذلك الولاء المنشود ،لينشأ من ذلك تكريس دائم لمناسبات ومطاحنات تقلل على توالي الأجيال قيمة المجتمع الأكبر الذي لا يزال يسمى (جزيرة العرب).
في هذا الجو العام من التخلف وضعف التطور الأقتصادي وضعف العلاقات الأجتماعية والخلافات القبلية والنعرات الباقية من زمن الجاهلية كانت ولادة علي بن أبي طالب عليه السلام .

الولادة

إلى كل من يستهويه علي بن أبي طالب في بطولة القيم وفتح كوى النفس على الحق والخير والجمال .

ولادة الأمام علي عليه السلام في الكعبة.

لابأس قبل الخوض في بيان الواقعه ، بذكر مقدمه تمهيديه فنقول :نحن بصفتنا مؤمنين بالله وبالقران العظيم لا محيص لنا عن قبول الأمور الخارقة للعادة التي هي ما وراء الطبيعة، المذكورة في القران الكريم ، ويقال لها (الماورائيات) أو (الميتا فيزيقيا).

فان القران الكريم يتضمن أكبر كميه من الحوادث الماورائيات ،ولا نستطيع (بصفتنا مسلمين) أن نرفضها أو نتردد في قبولها ،وخاصة بعد أن آمنا أن القران كتاب من عند الله لايأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه .

مثلا : طبيعة النار هي الأحراق ،وأسناد الأحراق إلى النار من الأمور البديهية الثابته ،والقران الحكيم يحدثنا عن أبراهيم وأنه لما كسر الأصنام حكم المشركون عليه بالأعدام فقالوا (أحرقوه) فأضرموا نارا عظيمة أشترك جميع طبقات الناس في جمع الحطب لها ،فوضعوا أبراهيم الخليل في الة تسمى (المنجنيق)، وقذفوه من مكان بعيد في وسط تلك النار العظيمة .

قال تعإلى (قلنا ياناركوني بردا وسلما على أبراهيم)في تفسير هذه الأيه :لما خاطب الله النار بقوله:(كوني بردا) كاد ابراهيم ان يموت من البرد فقال تعإلى :(وسلاما) فسلم أبراهيم من الموت بالبرد .

وكذلك عصا موسى عليه السلام وأنقلابها ثعبان وأبتلاعه الحبال والعصي التي كانت يخيل اليهم من سحرهم أنها تسعى ،ثم عادت العصا كما كانت .

وهكذا ما قام به عيسى بن مريم عليه السلام من أبراء الأكمة (الذي ولد

أعمى) والأبرص ،وأحياء الموتى حتى الذين أنقضت على وفاتهم مئات السنوات ،وقد أشار القران الكريم إلى هذه المعجزه في ثلاثة مواضع .

وهكذا وهلم جرى ،من القضايا والحوادث الخارقه للعادة والطبيعة المستندة إلى أرادة الله وقدرته ، ويسهل الأيمان بهذه الأمور كلها أذا حصل الأيمان بأن الله قادر على كل شئ ،وأن جميع الموجودات خاضعه ومطيعه لأرادة الله تعالى.

أذا ثبت هذا فلا مانع لدى العقل من قبول أنشقاق جدار الكعبه لدخول فاطمة بنت أسد حتى تضع ولدها الأمام علي عليه السلام في جوف الكعبة ،واليك الواقعة :

علي وليد الكعبة

ولدته في حرم الالـــه وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الــثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولد

ما لف في خرق القوابل مثله الا أبن امنة النبـــي محمد

شرف لم يتشرف به أحد ،وسام تقلد به عليا بن أبي طالب عليه السلام منذ الوهلة الأولى من حياته ،وسام قلده به عز وعلا الله سبحانه وتعالى ،عند ولادته في الكعبه ،ذلك الوسام الذي طرز جبهته بأكاليل من النور وأشراقة الحب الرباني ...ولادته فريدة من نوعها في الوجود ،أنه تحلى بجدار الكعبة وتحلت الكعبة به ،نور سطع على أرض الجزيرة ، نور أشرق من بين الجدار كفلقة قمر ...أ نه الوليد الذي بارك به الرحمن وزاده فخرا يفتخر به لأنه وليد الكعبة ،تاج من تيجان الالهيه تحلى به رأس علي عليه السلام .ولد يحاكي علو المشرقات وينشد الأزل للزمن فخرا وزهوا وعزا ،تفرد علي عليه السلام بهذه الولادة ،وأصبحت معجزة الزمان .

قلة هم الرجال على نسج علي (عليه السلام)...تتهدت بهم الحياة ،موزعين على مفارق الأجيال كالمصابيح ،تمتص حشاشاتها لتفنيها هديا على مسالك العابرين .

هؤلاء في كل آن وزمان ،في دنيا الأنسان ،أقطابه ورواده .

من بين القلة يبرز وجه علي عليه السلام في هالة من رسالة وفي ظل من نبوة ،فاضتا عليه أنسجاما وأكتمالا كما أحتواها لونا وأطارا .

أحست فاطمه بنت أسد بوجع الولاده ،وأقبلت إلى المسجد الحرام وطافت حول الكعبة ،ثم وقفت للدعاء والتضرع إلى الله تعإلى ليسهل عليها أمر الولاده قائله :((يارب أني مؤمنه بك وبكل كتاب أنزلته ،وبكل رسول أرسلته...

ومصدقه بكلامك وكلام جدي أبراهيم الخليل عليه السلام وقد بنى بيتك العتيق ،وأسالك بحق أنبياءك المرسلين ،وملائكته المقربين وبحق هذا الجنين الذي في أحشائي ...أ لا يسرت علي ولادتي).

أنتهى دعاء السيده ،وأنشق جدار الكعبة من الجانب المسمى (بالمستجار) ودخلت السيدة فاطمة بنت أسد إلى جوف الكعبة ،وأرتأت الصدع ،وعادت الفتحه والتزقت وولدت أبنها عليا هناك .

وبقيت فاطمة في الكعبة ثلاثة أيام ،وأنتشر الخبر في مكة،وجعل الناس يتحدثون به حتى النساء ،وأزدحم الناس في المسجد الحرام ،ليشاهدوا مكان الحادثة .

حتى كان اليوم الثالث ،وأذا بفاطمةقد خرجت من الموضع الذي كان قد أنشق لها وعلى يديها صبي كأنه البدر وأسرعت الجماهير المتجمهره اليها فقالت: معاشر الناس ،أن الله عز وجل أختارني من خلقه وفضلني على المختارات ممن مضى قبلي ،وقد أختار الله اسيا بنت مزاحم فأنها عبدت الله سرا في

موضع لا يحب أن يعبد فيه الله أضطرارا ،ومريم بنت عمران ،حيث هانت ويسرت ولادة عيسى فهزت الجذع اليابس من النخلة في فلاة من الأرض حتى تساقط عليها رطبا جنيا وأن الله أختارني (فضلني) عليها وعلى كل من مضى من نساء العالمين لأني ولدت في بيت الله العتيق ،وبقيت فيه ثلاثة أيام آكل من ثمار الجنة وأرزاقها.

وبعد هذا كله لم يبق مجال الشك من قدرة الله تعإلى وأرادته ،وما المانع أن يختار الله لمولد وليه أشرف بقاع الأرض حتى يكون مولده في ذلك المكان من مزاياه التي تفرد بها عن الخلق أجمعين ؟؟وما المانع أن يمنح الله عباده المقربين هذه العطايا والمنح كي تكون لهم دليلا على كرامتهم عند الله ..

فاطمة بنت أسد (عليها السلام)

بوركت يافاطمة

وبورك الوليد

ولدت عليا

نجمه أضاء أرض الجزيرة

وسطع في الوجود

أيتها الأميرة المطلة من علياء سمائها

أيتها الكوكب الفضي الساطع نورا

وهذه النجوم التي حولك قلائدا

أنك فص من ماس يتلالأ

وهذا الأفق المحيط بك خاتم من الأنوار.

أنك مرآة صافية وهذه الهالة الدائرة بك أطار

أم عين ثرة ثجاجة ،وهذه الأشعة جداول تتدفق .

أنك ولدت عليا

تباركت به الكعبة

وكرامته باركت جدارها

أنشق لك جدار الكعبة

ودخلت عالم الجنان

أكلت من أرزاق الجنة

وفرشت لك الصخرة الزرقاء

لتلدين عليا

معجزة من معجزات الزمان

لم تتكرر أبد الدهر

دخلت الجدار وغلق كما كان

وفتح وخرجت تحملين قمرا

عليا ..عليا ..عليا

أبو طالب (عليه السلام)

وأنتقل الخط من عبد المطلب إلى أبنه أبي طالب وراثه أخرى عن وراثه وهذا أمتداد اخر عن أمتداد فيه التكميل وفيه أشتداد النضج وتلك هي المسؤوليه تتحملها المناكب .

وما كان أبو طالب الا وريث رجل كنته الجزيره ب(شيبة الحمد)فورث عنه – فيما ورث –هذا الحمد الذي لا يزال المسلمون حتى اليوم يوشحونه به .

أن بين يدي هذا الكبير تفتحت أسرار النبوه في محمد(صلى الله عليه واله

وسلم) فهو الذي كفل اليتيم لقد ورث الكفاله من أبيه الراحل وهو الذي سهر عليه الليالي الطوال ،وهو الذي جعله في رفقته مع أسفاره إلى الشام في الرحلتين اللتين رتب قواعدهما جده هاشم: رحلة الصيف ورحلة الشتاء ،وهو الذي كان يسبح -بتأملاته – في عيني هذا الفتى يكتشف ورائهما افاقا وراء افاق ،وهو – على فقره – ماشح على أبن أخيه هذا بشئ من الأهتمام ،وهو الذي رعاه وحماه من غدر قريش ولؤم زعمائها .

لقد كانت له الفراسه في عينين تقتحمان الأفق الغائر .ذلك حس يرافق دائما الأعلام الأفذاذ وعفيفي الطوايا له من الأرهاف ما يجنح به إلى الأغوار يتلقط بالجمال حيث يشعر بخفقة للجمال ويتخشع للسمو مع كل همسة من همسات جوانحه لقد كان في ذلك أبو طالب : فلقد سجد كثيرا في قرارة نفسه أمام هذا الفتى – بين يديه- يستطلع خلف عينيه سرا فليكن ذلك كله مكتنفا بالغموض والأبهام غير أنه يملك جهازا مرقوقا من رهافة ينبأه عن أن هذا الهادئ الهائج لبحر يجدر فيه الغوص.

ستصدق أبا طالب رؤاه وسيكشف له المستقبل المسرع أن أخاه عبدالله لم يمت دون أن يترك خلفه ذكرا يغطيه ببردة الخلود .

ومخاوف أبي طالب على الفتى اليافع -وأن يكن لها في نفسه المجال الأوسع – ستذوب جميعها أمام بطولة التصميم وسيرضى لفتاه بأن يقذف بنفسه إلى المعمعه .على البطولات أن تتتكر للمخاوف ،وسيلبيه بكل ما أوتي من مدد :سيعضده بنفسه ،سيقدم له أبنه عليا ،سيقحمه في فراشه ،سيلفه بردائه،سيلاحمه به حتى يصبحا فلقتي توأمين ،سيقدم له أيضا أبنه الثاني جعفرا ،سيجهز له أخاه حمزة ،وسيحضر له أخاه أبا الفضل العباس...سيكون للفتى – مع الوقت ،من بني هاشم – ذخر يطوون عليه الياف الخواصر .

ابو طالب (عليه السلام) مؤمن من قريش ،وقد صرح بأيمانه في مواقفه الشجاعة التي دافع بها عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وفي ابياته العديدة التي قالها في حق النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم).

وكان ابو طالب (عليه السلام) من اوائل من اسلم على يد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) هو وبنوه واكثر اخوته واخواته – أي اولاد عبد المطلب – وذلك بدعوة من النبي (صلى الله عليه واله وسلم) كما قال :

ودعوتني وعلمت انك صادق ولقد صدقت وكنت ثم امينا

ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان البرية دينا

ولكنه لم يجاهر باسلامه بامر النبي (صلى الله عليه واله وسلم)لكي يستطيع من حمايته (صلى الله عليه واله وسلم) في قبال مشركي قريش ، لما كان يتمتع به ابو طالب من منزلة كبيرة عندهم.

قال الامام الصادق (ع): ان رسول الله (ص)كان يصلي واامير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع)معه، اذ مر به ابو طالب وجعفر معه ، قال – لابنه جعفر – :يا بني صل جناح ابن عمك ،فلما احس رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) تقدمهما وانصرف ابو طالب مسرورا وهو يقول:

ان عليا وجعفرا ثقتي عند ملم الزمان والكرب

والله لا اخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما اخي لامي من بينهم وابي

وكان ابو طالب (عليه السلام) يحث ابنه عليا (عليه السلام) ويحضه على نصرة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال علي (عليه السلام): (قال لي: يابني ، الزم ابن عمك ،فانك تسلم به من كل بأس عاجل واجل – ثم قال لي:

ان الوثيقة في لزوم محمد فاشدد بصحبته على يديكا

ابو طالب (عليه السلام)الدرع القوي الذي احتمى به رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والعضد الصلب،والنبراس المتوهج قوة وعزيمة للفتى الرسول(صلى الله عليه واله وسلم). وكان خير الاب المؤمن لرعاية علي (عليه السلام) وحمايته.

محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

(وأنك لعلى خلق عظيم)

سجاياه التي لا تشتمل على مثلها نفس بشرية ،ما يغنيه عن كل خارقة تأتيه من الأرض أو السماء ،أو الماء أو الهواء .

أن ما كان يبهر العرب من معجزات ،علمه ،وحلمه ،وصبره ،وأحتماله ،وتواضعه ،وأيثاره ،وصدقه وأخلاصه ،أكثر مما كان يبهرهم من معجزات .

فلولا صفاته النفسية وغرائزه وكمالاته ،ما نهضت له الخوارق بكل ما يريده ولا تركت له المعجزات في نفوس العرب ذلك الثر الذي تركته ،ذلك هو معنى قوله :تعإلى (ولو كنت فظا غليظ القلب لأ نفضوا من حولك).

كان (صلى الله عليه واله وسلم) شجاع القلب ،فلم يهب أن يدعو إلى التوحيد قوما مشركين يعلم أنهم غلاظ جفاف شرسون متنمرون ،يغضبون لدينهم غضبهم لأعراضهم ،ويحبون الهتهم حبهم لأبنائهم .

كان على ثقة من نجاح دعوته ،فكان يقول لقريش أشد ما كانوا هزاء به وسخرية :(يامعشر قريش ،والله لا يأتي عليكم غير قليل ،حتى تعرفوا ما تنكرون ،وتحبوا ما أنتم كارهون).

كان حليما سمح الأخلاق فلم يعجزه أن قومه كان يؤذونه ،ويضعون التراب

في طريقه ،وكان يقول :((أ للهم أغفر لقومي ،فأنهم لا يعلمون).

كان واسع الأمل ،كبير الهمة ،صلب النفس ،لبث في قومه ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله ،فلا يلبي دعوته الا الرجل بعد الرجل ،فلم يبلغ الملل من نفسه ،ولم يخلص اليأس إلى قلبه ،وما زال شأنه ،حتى علم أن مكة لن تكون مبعث الدعوة ،ولا مطلع تلك الشمس المشرقة ،فهاجر إلى المدينة ،فأنتقل السلام بأنتقاله من السكون إلى الحركة،ومن طور الخفاء إلى طور الظهور .

أن حياته كانت أعظم مثال يجب أن يحتذيه المسلمون للوصول إلى التخلق بأشرف الأخلاق والتحلي بأكرم الخصال ،وأحسن مدرسة يجب أن يتعلموا فيها كيف يكون الصدق ،في القول والأخلاص في العمل والثبات على الرائ وسيلة النجاح وكيف يكون الجهاد في سبيل الحق سببا في علوة الباطل .

لا حاجة لنا بتأريخ فلاسفة اليونان وحكماء الرومان وعلماء الأفرنج ،فلدينا في تأريخنا حياة شريفة مملوءة بالجد والعمل ،والبر والثبات والحب والرحمة ،والحكمة والسياسة ،والشرف الحقيقي ،والأنسانية الكاملة وهي حياة نبينا (صلى الله عليه واله وسلم)

قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لعلي (عليه السلام):

انه بين يديك ياعلي طالع الغد

اما الامة التي هي لنا منذ قديم العهد

فلنبن لها انسان اليوم وانسان الغد

فكن انت – يا نجيبي– قاعدة الحرز المصمَد

في امامة معصومة الطهر ومعصومة اليد

ولتكن– كشهور السنة :اثني عشرية العد

حتى يطيب لها الكسب،ويصح لها الجهد

ولتكن :دائرية الطول ودائرية العرض ودائرية الوعد

وهكذا – يا امام – وبعد لاي الدهر – يبقى الجهد

يا نجيي ، المنتظر !!!

وهكذا ايضا يكون للامة تحضير ممنع بسياسة واعية ،وراشدة ومهتمة ،ومعصومة ، تنشر العلم الذي تحرزه ،وتقدسه ،وهي تنمية لتجعله ملبيا حاجات الامة إلى كل تحضير ثقافي – حضاري– روحي .كان لها بعض منه قبل ان تتعثر !

ثم كان عيد الغدير ،او يوم حجة الوداع ...كانت الامة محتشدة في حضورها المستكين ...تناول النبي الكريم عليا من ابطه اليمين ...عرضه على جمهور المودعين وهو يقول:

من انا مولاه فعلي مولاه

من يحبني فليحبه...

ومن يبغضني فليبغضه...

ان لكم به

حقيقة الحرز.

الرفيق

نعم الرفيق الفتى الصبوح .

لقد مشى الطريق بعينيه قبل ان يمشيها بقدميه.

شرب السحاب ولما يهم بعد السحاب ،وأستمطر الغمامة ولما تكثف بعد الغمامة .

وما كان من علي عليه السلام في هذه السنين القليلة من عمره أكانت سبعا أم بلغت تسعا الا من هؤلاء القلة النادرين الذين يقفزون من فوق عتبات المداخل ،من هؤلاء الذين يؤمون الحياة بواكير في مواسمها .

ولم تكن العشرة السنية لتضفي عليه أكثر مما يضفي على المرمر أزميل النحات ،وعلى اللوحة ريشة الفنان ،وعلى الوتر نقرة الموهوب .

وما كان ا لجو الذي ربى فيه الا ليكون له منه ما يكون للصفحة الصافية من أنعكاس النور ولمجوف الكهف من أرتجاع الصوت .

ولقد أدرك نور محمد (صلى الله عليه واله وسلم)أية صفحة صقيلة يداعب ،ولقد ادرك صوت محمد(صلى الله عليه واله وسلم) أي كهف عميق يناجي .

لهذا أفتل علي (عليه السلام)بين يديه كما تنفتل العجينة في يد العجان ،يرفقها بكفه ويخبزها بفرنه ..،

وأصبح علي(عليه السلام) من محمد (صلى الله عليه واله وسلم):رجع صوت – وأنعكاس نور – وخبيز فرن – وركيز تحقيق – وصدر مشورات – وبيكار هندسة – ومدى انطلاق .

وأصبح سيفا

وأصبح ترسا .

وأصب حارثا ووسع مجالا .

محمد وعلي ...

نمت الحياة مزهوة في البيت الطالبي، نما عود علي (ع) وترعرع مع محمد (صلى الله عليه واله وسلم) نمت علاقة محمد مع الطفل ثم الصبي ثم الشاب أبن عمه علي بن أبي طالب.زنبقة فواحة العطر والحنان .

ميلاد علي(ع) مع ميلاد الأنسانية بدين الأسلام الذي حمل لواءه محمد النبي الكريم ،وأذا نظرنا إلى ميلاد المعاني الأنسانية في قلب وروح ،رأينا أن علي بن أبي طالب(ع) أنما ولد مؤمنا بالرسالة الخيرة ونصيرا لها .فأن خصائص البيت الطالبي الذي ربي فيه محمد (ص)،أنتقلت بصورة طبيعية إلى أبن عمه ساعة ميلاده..

ونما خلق علي(ع) على شمائل بيت أبيه أبي طالب (ع)، ذاك الذي أصغت جدرانه لأول عبارة من محمد(ص) ، وخرجت منه الدعوة الأسلامية إلى الوجود .فأن عليا (ع) ماكاد يبلغ الرابعة من عمره ،حتى ضمه محمد (ص) اليه واخاه .وقد أشار علي (ع) إلى تعهد محمد (ص) أياه ،بخطبته التي تسمى بالقاصعة وفيها يقول:

(وقد تعلمون موضعي من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ،بالقرابة القريبه والمنزلة الخصيصة .وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ويكنفني فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه . وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل . وكنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالأقتداء به.

وهذا هو أول الزمن الذي يتأهل الغلام فيه لتلقي بذور الأخلاق الفاضلة .ولطالما جاور علي (ع)محمدا (ص)في خلواته ،وسار على نهجه في الأنقطاع عن القريشيين المتردين في ليل من جهالتهم وجمودهم على ماهم

عليه من عادات وأخلاق . ولطالما عاش في ذلك الجو الزكي إلى جوار أبن عمه وهو أثير لديه على قلبه . وأن مثل هذا الجوار وهذا الأخاءلم يظفر به واحدا – غير علي (عليه السلام) – من أصحاب الرسول وتلاميذه !

لقد فتح علي بن أبي طالب (عليه السلام)عينيه على الطريق الذي رسمه أبن عمه .وعرف العبادة أول ما عرفها من صلاته .ونعم بعطفه وحنانه واخائه .فأذاهو من محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ما كان محمد (ص)من أبي طالب (ع)!

وخفق قلب علي(ع) ما خفق بحب أبن عمه .ونطق لسانه أول ما نطق بما لقنه أياه من رائع القول .وأكتملت رجولته أول ما أكتملت لمؤازرة النبي المظطهد وأذا كان النبي يحبه أنصاره ،ويحترمه أعداؤه ،فهل يكون ربيبه وتلميذه وأخوه علي(ع) الا شيئا من كيانه ،شيئا عظيما من كيان عظيم .

وأذا أسلم بعض الوجوه من قريش منذ أول الدعوة أحتكاما للعقل وتخلصا من الوثنية ،وأذا أسلم كثير من العبيد والأرقاء والمظطهدين طلبا للعدالة التي تتدفق بها رسالة محمد وأستنكار للجور الذي يلهب ظهورهم بسياطه ،وأذا أسلم قوم بعد أنتصار النبي أمتثالا للواقع وتزلفا للمنتصر كما هي الحال بالنسبة لأكثر الأمويين ،أذا أسلم هؤلاء جميعا في ظروف تتفاوت من حيث قيمتها ومعانيها الأنسانية ،وتتحد في خضوعها للمنطق أو للواقع الراهن ،فأن علي بن أبي طالب (ع) فقد ولد مسلما لأنه من معدن الرسول مولدا ونشأة ومن ذاته خلقا وفطرة .ثم أن الظرف الذي أعلن فيه عما يكمن في كيانه من روح الأسلام ومن حقيقته ،لم يكن شيئا من ظروف الأخرين .ولم يرتبط بموجبات العمر .لأن أسلام علي (ع) كان أعمق من ضرورة الأرتباط بالظروف أذ كان جاريا من روحه كما تجري الأشياء من معادنها والمياه من

ينابيعها .

لقد كان أول سجود المسلمين الأول لالهة قريش .

وكان أول سجود علي (ع) لاله محمد (ص).

الا أنه أسلام الرجل الذي أتيح له أن ينشأ على حب الخير وينمو في رعاية النبي ويصبح أمام العادلين من بعده ،وربان السفينة في غمرة العواصف والامواج .

فاطمة الزهراء (عليها السلام)

على ذات القياس جاءت فاطمة تتلالأ على وجهها الأسارير فتناولها أبوها كأنها الشعاع في خاطره ،وستكون الشعاع في خاطر الزمن .رمى اليها نظرة من قلبه ورمى إلى علي (ع) نظرة من عقله .أ ن في النظرتين كينونة لحمة أحلامه .

أن الأهداف البعيدة ترسخ القواعد المتينة ،وأن ذلك يتطلب الحيطة والحذر والأشراف الكامل والناجز .فكما ان عليا لن يترعرع الا تحت العين اليقظى ،كذلك فاطمة ستربو أيضا بين هاتين الذراعين .

فليتمهل قليلا فعل الزمن ،ان في التمهيل أكتمال نضج القدر فوق أثافيها :أ ن عليا يتكامل فيه العمل العظيم ،لقد أصبحت خطواته وسيعة في أتجاهها نحو حراء ،وها هي فاطمة تتوسع حدقتاها مع هذا الترسيل الذي يتوضح لها سطوعه .لقد أنتدبت أخواتها لتنفيذ مشيئة الحياة فيهن ،كل واحدة منهن أصبحت في بيت جديد ،ليصرن بدورهن أمهات ،فانها بأنتظار القدر الكبير الذي سوف يجعلها أما على خط أبيها .

هكذا – وهي طفلة – نيطت بها تربية كشافة عن جوهرها ،فأذا هي لها

الطوية العميقة تلين مع التلبية وتلبي بكل لين .

أن فاطمة أيضا تنمو وتقترب من العتبات .

اشراقة الأمل

فديت عليا امـــــام الورى سراج الــبرية مأوى التقى

وصي الرسول وزوج البتول امام البرية شمس الضحى

تصدق خاتـــــــمه راكعا فأحسن بفعل امام الــورى

ففضله الله رب العـــباد وانزل في شأنه هـــل أتى

اشراقة التقي النقي. بهجة الحب .وضياء الصباح .بزغ القمر في جوف جدار الكعبه . انه علي المرتضى .

وينشد طائر السماء لجزيرة العرب قائلا :

أتتامين على الطوى وتكتفين بالشعر يرجز على دروبك تخطها القوافل محملة بالطيوب ؟

ومالك بابيد تتعطش رمولها على السراب فتتلظى ولا ترتوي ؟

قربي يانفوذ الجزيره ويا ربعها الخالي ..قربي وتلملمي ،فليس يلطف عنك سموم خط الهاجر ها تلك النسمات ،تبردها المحيطات من حواشيك ،وحواشيك هي بعض فيوضك..يا طالما زحفت اليها مع السحيق من اجيالك.

تلك كانت طفراتك المتمرده عبر ات السنين في هجرات حائره ،ما انتقلت بقدم حتى تشبثت بمدينه . .

فقربي وخذي مما اعطيت ،غزوا بغزو يا فيافي الجزيره ..

ولملمي ذيول ليلك الطويل على كف هذا الصبح الاصيل ..

وتيمني ،فمكة اليوم ضلعك الاملد، تشهد ولاده ما شهدتها من قبل بيدك السمر ..

وتيممي بالمر واللبان.واجمعيها قوافل من خيراتك فقد حان لك الاوان ان تحرقيها في جو صميم من اجوائك ..

وباركي الجم من الام مخاضك ،لان المولود البكر الذي يقطع اوصالك سوف يربط ارضك بسمائك ، ويفجر النور على ارجائك .

وكنسي الكعبه من اصنامك،فاللات والعزى ومناة قد اختلبتها روعة التوحيد .. وترابطي ،قحطانك بعدنانك ،فانت منذ الساعه قبلة الملايين .

ولسوف تنصب عليك أعين الوافدين .

فمع الاوس والخزرج نوري يثرب يامدد الانصار وياسهد المهاجرين ،واجلي الرمد من عينيك ..فان الفجر يحمل اليك تباشير ضياءلن تتمكن مفاوزك على مداها من ان تستأثر بها ضمن افاقها ..فهي رسالة بمستوى الفيض ،مصدرها ازل ومدادها ابد.

ولئن تحاولي ..وماذا يضير ؟.. فان الوهج المنبلج لن تئده((بئر احد)) فهو نور يتعدى نطاق الحجب ،لان مصدره ابعد من المكان واقصى من الزمان.

فأسترشدي ،فان الهدى على انبثاق بين يديك ، وكوني القاعده وكوني المزار ، فليست تضيرك ركيزة المناره..ولا تلعبي بترهاتك اذ تجازفين بمقدراتك ،فان الثوب الذي به تتدثرين رثت خيوطه ،فانت به على غضاضه ..فتوحدي ووحدي ، فان الكلمه اخذت تملا الدنيا على مسمعيك : الله اكبر.. وانظري إلى البعيد ، فان الطريق الذي خط امامك لن تقود قدميك عليه عين كليله ، لان العقيده التي فاضت معانيها سوف تضيق عليها قوالب الحروف ولن تتمكن من استيعابها سحب الخيال .

لذلك سوف تجتاحك إلى حيث تجد انسانا فتخصبه..فكوني المطيه وعبدي الطريق وقدري قيمة ما تحملين ..

ان ذلك مع التريخ افخم قوافلك واذكى طيوبك ياأرض الجزيره.

الفصل الاول

الإمام ومفاهيمه الانسانية

التقوى في الشوط الانساني

لحن الخلود

علي (عليه السلام) السيرة الحميدة

حب الشهد وحب علي (عليه السلام)

علي (عليه السلام) قارورة العطر الانساني

الإمام ومفاهيم الانسانية

إلى النور الساري في خط الكون ودورة الوجود

إلى الرجالات المعذبة في سبيل قداسة العهود

إلى طينة الجماعة التي عبرت من حصن التراب نحو عباءة النور

إلى المسافرين فوق الطيف عند نازلة الخطاب من عهد الأنوار

إلى العابرين قبلنا درب الحياة بسفينة اليقين نحو ضفاف الفردوس من بحر السماء

إلى مفككي لغة الكون ، وقارئي حكمة الوجود ، الناظرين من تخوم الأرض نحو عنان السماء

إلى الذوات المعذبة في سبيل تحرير الإنسان

إلى أهل العلوم والعدل والنور

إلى أهل العقل والفكر والملاحظة والتدبير

إلى سابري الباطن إذا أنغمس الناس في الظاهر

إلى كل واحد يهتز خشوعا في محراب الوجود

إلى كل نفس تعذبت في سبيل رصد الممر والأعانه على المقر

إلى كل ذات لم تقتلها شهوة ،ولم تسقطها نزوة ، أو تنحرها غريزة

إلى قلة تصر على حمل صحيفة النور في زمن المادة والأسواق

إلى جماعة عكفت تعكس حرف النور الضامن في فقه التشريع

إلى رمز ولائي ،ودرب فدائي ، حامل ثقل الأنبياء ، والأوصياء زمن الغيبة

إلى علماء الحقيقة ورواد المسير ، نحو عهد الخلق مذ مد الأديم من طين الأختبار

إلى الأنفس التي تتطلع نحو الكمال ،فتعبر مزوده بثقل النور نحو عالم الأبد

من خلد الرحمن.

اليهم نفحات من ...

عالم علي المرتضى.

التقوى في الشوط الانساني

قال علي عليه السلام:

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ،

الذي ضرب لكم الأمثال ،

ووقت لكم الاجال

والبسكم الرياش ، ورفع لكم المعاش

وأحاطكم بالأحصاء. وأرصد لكم الجزاء

واثركم بالنعم السوابغ والرفد الروافع

وأنذركم بالحجج البوالغ وأحصاكم عددا

ووظف لكم مددا في قرار خبره. ودار عبره

أنتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها

فان الدنيا رنق مشربها ردغ مشرعها يونق منظرها يوبق مخبرها .غرور حائل ،وظل زائل ، وسناد مائل

حتى أذا أنس نا فرها ، وأطمأن ناكرها ، قمصت بأرجلها ،وقنصت بأحبلها ، وأقصدت بأسهمها ،وأعلقت المرء أوهاق المنية

قائده له إلى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل وثواب العمل، وكذلك الخلف يعقب السلف

لا تقلع المنية أختراما ، ولا يرعوي الباقون أحتراما ، يحتذون مثالا ، ويمضون

أرسالا إلى غاية الأنتهاء ، وصيور الفناء .

الأنسان وقيم الأنسانيه

لحن الخلود

أعلم يقينا أنك لن تبلغ أملك،

ولن تعدو أجلك ،

وأنك في سبيل من كان قلبك ،

فخفض في الطلب ،

وأجمل في المكتسب ،

فانه رب طلب قد جر إلى حرب ،

فليس كل طالب بمرزوق ،

ولا كل مجمل بمحروم ،

وأكرم نفسك عن كل دنيه ، وان ساقتك إلى الرغائب ،

فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ،

ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا ،وما خير خير لا ينال الا بشر، ويسر لا ينال الا بعسر ،

وإياك إن توجف بك مطايا الطمع ، فتوردك مناهل الهلكه ،

وان استطعت إن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمه فأفعل ،

فأنك مدرك قسمك ،وأخذ سهمك،

وأن اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وأن كان كل منه.

علي ... السيرة الحميدة

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي

وكل بطيء في الهدى ومسارع

ايذهب مدحي والمحبر ضائع

وما المدح في جنب الاله بضائع

فأنت الذي أعطيت أذ كنت راكعا

فدتك نفوس القوم ياخير راكع

فأنزل فيك الله خير ولاية

وبينها في محكمات الشرائع

سيرة علي بن أبي طالب ملتقى بالعاطفة المشبوبة والإحساس المتطلع إلى الرحمة والإكبار ..يجري تأريخه وتأريخ أبنائه في سلسله طويلة من مصارع الجهاد والهزيمة ،ويتراءون للمتتبع من بعيد واحدا بعد واحد شيوخا جللهم وقار الشيب ثم جللهم السيف الذي لا يرحم ،أو فتيانا عوجلوا وهم في نضرة العمر يحال بينهم وبين متاع الحياة ،بل يحال بينهم أحيانا وبين الزاد والماء ، وهم على حياض المنيه جياع ظمأ ..وأوشك الالم لمصرعهم أن يصبغ ظواهر الكون بصبغتهم وصبغة دمائهم ،حتى قال شاعر فيلسوف كأبي العلاء المعري لا يظن به التشيع بل ظنت بإسلامه الظنون :

وعلى الافق من دماء الشهيد ين علي ونجله شاهدان

فهما في أواخر الليل فجرا ن ، وفي أولياته شفقان

وهذه غاية من أمتزاج العاطفة بتلك السيرة قلما تبلغها في سيرة الشهداء غاية،وكثيرا ما تتعطش اليها سرائر الأمم في قصص الفداء التي عمرت بها

تواريخ الأديان ..

وفي سيرة علي ملتقى بالخيال حيث تحلق الشاعرية الأنسانيه في الأجواء أو تغوص في الأغوار . فهو الشجاع الذي نزعت به الشاعرية الأنسانيه منزع الحقيقة ومنزع التخيل ، وأشترك في تعظيمه شهود العيان وعشاق الأعاجيب.. الم يحارب المرتده في فلواتها ؟ ..الم يخلق له الرواة أندادا من المناجزين والمبارزين لم يخلقهم الله ؟..الم يستصغر عليه المحبون الغالون في الحب أن يصرع من عرفنا من خصومه فأنشوا له من الخصوم المغلوبين من لم يعرفهم ولم يعرفوه ؟..الم يوشك من وصفوه ووصفوا وقعاته وفتكا ته إن يلحقوه بإبطال الأساطير وهو أصدق الإبطال في أصدق مجال.

وتلتقي سيرته بالفكركما تلتقي بالخيال والعاطفة ، لأنه صاحب أراء في التصوف والشريعة والأخلاق سبقت جميع الآراء في الثقافة الاسلاميه ، ولأنه احجى الخلفاء الراشدين أن يعد من أصحاب المذاهب الحكيمة بين حكماء العصور،ولأنه أوتي من الذكاء ما هو أشبه بذكاء الباحثين المنقبين منه بذكاء الساسة المتغلبين ، فهو الذكاء الذي تحسه في الفكرة والخاطرة قبل أن تحسه في نتيجة العمل ومجرى الأمور..

وللذوق الأدبي والذوق الفني ملتقى بسيرته كملتقى الفكر والخيال والعاطفة،لأنه عليه السلام كان أديبا بليغا له نهج من الأدب والبلاغة يقتدي به المقتدون ،وقسط من الذوق مطبوع يحمده المتذوقون ،وان تطاولت بينه وبينهم السنون ، فهوالحكيم الأديب ،والخطيب المبين ،والمنشئ الذي يتصل إنشاؤه بالعربية ما اتصلت آيات الناثرين والناظمين ..

وللنفس الانسانيه نواحيها الكثيرة غير نواحي العطف والتخيل والتفكير ،وتذوق الحسن الجميل من التعبير .

فمن نواحيها الكثيرة ناحية لم تنقطع قط في زمن من الأزمان ،وهي ناحية الخلاف بين الطبائع والأذهان ،أو ناحية الخصومة الناشبة أبدا على رائ من الآراء ،أو حق من الحقوق ، أو وطن من الأوطان .

فقد يفتر العقل والذوق بعض حين ، وقد يفتر الخيال والعاطفة بعض حين ،ولكن الذي لم يفتر قط ولا نخاله يفتر في حين من الأحايين خصام العقول وجدل الالسنه واختلاف المختلفين..

وان ها هنا للمجال الرغيب والملتقى القريب في سيرة هذا الإمام الأوحد التي لا تشبهها سيرة في هذه الخاصة بين شتى الخواص .

وصدق الإمام الكريم في غلو الطرفين من محبيه ومن مبغضيه .فقد بلغ من حب بعضهم إياه إلى اعلى المرتبات ،وبلغ من كره بعضهم اياه ان حكموا عليه بالمروق من الدين:هنا الروافض الغلاة يعبدونه وينهاهم عن عبادته فلا يطيعونه ..وهنالك الخوارج الغلاة يعلنون كفره ويطلبون منه التوبة إلى الله عن عصيانه ..ويسبونه على المنابر كما سبه خصوم الأمويين الذين خالفوهم في العقيدة ووافقهم على السباب ..ميدان من ميادين الملاحاة لم يستطع قط ميدان متسعة في تواريخ الإبطال المعرضين للحب والبغضاء :يقول أناس :اله . ويقول أناس :كافر مطرود من رحمة الله ! ..

وناحية أخرى من نواحي النفس الكثيرة تلاقيها سيرة الإمام في أكثر من طريق :وتلك هي ناحية الشكوى والتمرد أو ناحية الشوق إلى التجديد والإصلاح..

فقد أصبح اسم علي(ع) علما يلتفت به كل مغصوب ،وصيحة ينادي بها كل طالب إنصاف ،وقامت باسمه الدول بعد موته لأنه لم تقم دوله في حياته ،وجعل الغاصبون على كل مجتمع باغ ،وكل حكومة جائرة يلوذون بالدعوة العلوية كأنها المنفس الذي يستروح اليه كل مكظوم ..فمن نازع في رأي،ففي

اسم علي(ع) شفاء لنوازع نفسه،ومن ثار على ضيم ففي اسم علي (ع) حافز لثورته ومرضاة لغضبه ،ومن واجه التاريخ العربي بالعقل أو بالذوق أو بالخيال أو بالعاطفة فهناك ملتقى بينه وبين علي(ع) في وجه من وجوهه،وعلي حاله من حالاته ، وتلك هي المزيه التي انفرد بها تاريخ الإمام بين تواريخ الخلفاء ، فأصبحت بينه وبين قلوب الناس وشائج تخلقها الطبيعة الادميه إن قصر في خلقها التاريخ والمؤرخون ..

لهذا نعلم غير مترددين في علمنا أن واجبنا في (فلسفة الإمام علي(ع)) مرسوم الغاية والطريق ، وهو واجب التبسيط والقصد إلى الخطه التي تدلنا دلالات مبكرة عن فيلسوف عصره وحكيم زمانه.

حب الشهد...وحب علي عليه السلام

الدنيا دار مُني لها الفناء

ولأهلها منها الجلاء

وهي حلوة خضره

وقد عُجلت للطالب

والتبست بقلب الناظر

فأرتحلوا عنها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد

ولا تسالوا فيها فوق الكفاف

ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ (علي (ع))

علي (ع) السماحه والعدل،والنجابة والفضل، الشجاعة القاهرة ،والبطولة النادرة..مع القوه التي خذلتها القوه ،والهمة التي أثاقلت من حولها الهمة، والمروءة التي استعصت عليها المروءة..مع الحكمه التي خلفت مواريثها

للأجيال ، فكانت نورا يشع ،وزادا يشبع ..مع كريم الوجه وعظيم الخلق..مع الإمام وكفى..للإمام صلة بالنفس الانسانيه في كل مناحيها ،وفي سيرته ملتقى بالعواطف الجياشة،والأحاسيس المتطلعة إلى الرحمة والإكبار، لأنه الشهيد أبو الشهداء..وملتقى بالخيال،حيث دار حول شجاعته منزع الحقيقة، ومنزع التخيل..وملتقى بالفكر، فهو صاحب اراءلم تسبق في التصوف والشريعة والأخلاق ،ويعتبر صاحب مذهب حكيم بين حكماء العصور ، أوتي من الذكاء هو أشبه بذكاء الباحثين المنقبين منه بذكاء الساسة المتغلبين ،وملتقى الذوق الأدبي والفني ،تراه في نهجه البلاغي والأدبي ..وملتقى مع خلاف الطبائع والأذهان،أو الخصومة الناشبة أبدا على رأي أو حق أو وطن، فتنازع الناس حوله ،وتناقضت آراؤهم فيه حتى عبرعن ذلك بقوله :(ليحبني أقوام حتى يدخلوا النار في غضبي). (يهلك في رجلان :محب مفرط بما ليس في ،ومبغض يحمله شناّ ني على أن يبهتني)..وملتقى مع الشكوى والتمرد،أو الرغبة في التجديد والإصلاح ،فصار اسمه علما يلتف به كل مغصوب ،وصيحة ينادي بها كل طالب إنصاف ،وصارت الدعوة العلوية كأنها الدعوة المرادفه لكلمة (إصلاح).

فالتقت النفوس مع علي (ع)في وجه من وجوهه ،وعلى حاله من حالاته،وتلك مزية تفرد بها الإمام .وهو أول هاشمي ولد من أبوين هاشميين ،فتجمعت لديه كل صفات تلك الأسره الكريمة من نبل ،وشجاعة ،ومروءة ،وذكاء ..كان سريع النماء ، متفوقا على أقرانه ، ونشأ قوي البنية ، واحتفظ بمكانه تركيبيه في شبابه وكهولته..وكان يتميز بقوة جسديه فائقة ،انه كان شجاعا لا ينهض له احد في ميدان مناجزه ، وجرينا على الموت لا يخشى قرنا من الإقران مهما كانت قوته ، وذاعت شهرته، واستدل على ذلك بتجرئه وهو فتى ناشئ

على ملاقاة فارس الجزيرة العربية (عمر بن ود) الذي كان يقوم بالف رجل عند أصحابه وعند أعدائه ..وكان يزن تلك الشجاعة النادرة التورع عن البغي ، والمروءة مع الخصم ، وسلامة الصدر من الضغن على العدو بعد الفراغ من القتال ..واقترنت شجاعته بالاعتزاز والثقة ، وتمكنت الثقة من نفسه ، فحملها من ميدان الشجاعة إلى ميدان العلم والرأي ،فكان يقول: (اسالوني قبل أن تفقدوني ،فوا الذي نفسي بيده لا تسالوني في شي فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فئة تهدي مائة ، وتضل مائه ، الا إنباتكم بنا عقها ،وقائدها وسائقها ، ومناخ ركابها ، ومحط رحالها)..وحملها إلى ميدان العبادة والطاعة، فكان يقول : (ما اعرف أحدا من هذه الامه عبد الله بعد نبينا غيري..عبدت الله قبل إن يعبده احد من هذه الامه تسع سنين).

وهذه الثقة جعلته لا يتكلف ،ولا يحتال على أن يتالف ، ولا يقبل التكلف من ما دحيه ، ولا يمكن أن تسمى هذه الثقة زهوا ، لان العجب كان من ابغض الصفات لديه ..وكانت قلة التكلف توافق منه خليقته الكبرى من الشجاعة ، والبأس ، والامتلاء بالثقة ، والمنعة ،فكان يخرج لمبارزيه حاسر الرأس وهم مقنعون بالحديد ..كما وافقت منه خليقة الصدق الصراح الذي يتجرئ به الرجل على الضر والبلاء ،كما يجترئ به على المنفعة والنعماء ،فما تجاوز قول الصدق في شدة ولا رخاء ، وكان يقول (:علامة الإيمان إن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك ،والا يكون في حديثك فضل على علمك ..).

وصاحبه صدق الصراح في تقواه وإيمانه ، فكان زاهدا كأعظم ما يكون الزاهد ..وكان ابعد الناس من كزارة طبع ، وضيق حظيرة ،وجفاء عشره ..وكان يتبسط في سماحته .وكان للأمام مزايا فكريه لا تقل عن صفاته النفسية ،

ومحاسنه الخلقية ، فاتفقت الآراء على بلاغته ، وعلمه ، وفطنته .

وآداب فروسيته هي النخوة التي فطر عليها ،وكانت من آداب أسرته الهاشمية ،وعاده من عادات الفروسية العملية .. فكانت نخوته تمنعه من إن يعمل في السر ما يزري به في العلانية ،ومن أن يهتبل فرصه سانحة الا إذا قامت على الشرف ، وخير دليل على ذلك ما حدث في صفين ، حين استولى جيش معاوية على الماء ، وحرموا منه عليا (ع) وجنده ،واستطاع جيش علي (ع) إن يتغلب على جيش معاوية ، ويستولي على الماء ، فقال لا صحابه:(خذوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا إلى عسكركم ،وخلوا عنهم ، فان الله عز وجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم).وكذلك وصاياه لجنوده التي سن لهم فيها سنة النخوة في حرب البصره ..وموقفه من عمرو بن العاص الذي عمد إلى كشف سواته بعد إن تمكن علي (ع) منه في معركة صفين ، ولو كان غير علي (ع) ما ترك تلك الفرصة التي ستريحه من مكمن عداء ودهاء ..

ونخوته هي التي حالت بينه وبين مجاراة خصومه في السباب ، لأنه خير من يعلم بان النخوة لا تبيح للفارس إن ينال من عدوه بغير الحسام ،وإذا كان قد قال في بعض الظروف ما جعله يشذ عن تلك السنه ، فليس ذلك الا كما يشذ الفرسان ، حين تغلبهم بوادر اللسان ، وهذه الفلتات شيء ، واتخاذ السباب صناعه وسلاحا وسبيلا إلى الباطل شيء أخر ..

وكانت نخوة الفروسية لدى الإمام يصاحبها نزعة التصوف ، واعتبر الناقدون إن هذه النزعه لا تمازج الفروسية ،ولكن التصوف في معدنه جهاد في الحق، أو جهاد في الله .

علي(ع) قارورة العطر الانساني

(والله أني لأعترف بأ لحق قبل أن أشهد عليه)

(أن أمرنا صعب مستصعب ،ولا يعي حديثنا الا صدور أمينة وأحلام رزينه)

الامام علي(ع)

للإمام علي بن أبي طالب(ع) في حقوق الأنسان وغاية المجتمع أول أراء تمتد لها في الأرض جذور وتعلو لها فروع . اما العلوم الأجتماعيه الحديثه فما كانت الا لتوليد معظم هذه الاراء وهذه الاصول.ومهما اتخذت العلوم الاجتماعيه من صور واشكال ،ومهما اختلفت عليها من مسميات فأن علتها واحده وغايتها واحده كذلك وهما رفع الغبن والاستبداد عن كاهل الجماعات ثم بناء المجتمع لاعلى اسس اصلح تحفظ للانسان حقوقه في العيش وكرامته كأنسان ومحورها حرية القول والعمل ضمن نطاق يفيد ولا يسئ وتخضع هذه العلوم لظروف معينه من الزمان والمكان لها الأثر الاول في تكوينها على هذا النحو او ذاك .

واذا رجعنا إلى الماضي ونظرنا في شؤونه على اساس هذا الواقع تبين ان في كل زمن مضى كفاحا متقدا بين الاستبداد والحكم المطلق وهدر حقوق الجماعه وكبت الحريات من جهة وبين النزوع إلى العداله والحكم المستند إلى الشورى والعمل على حفظ الحقوق العامه واطلاق الحريات من جهة وبين النزوع إلى العداله والحكم المستند إلى الشورى والعمل على حفظ الحقوق العامه واطلاق الحريات من جهة ثانيه وما كانت الثورات القديمه الخيره الاتيه من الجانب المظلوم الا انتفاضات يقوم بها المظطهدون والمفكرون للقضاء على ظلم اجتماعي وانشاء قواعد جديده تقوم على انقاض هذا الظلم .وتتفق بمنطقها وقيمتها مع الوضع التطوري الذي بلغ اليه المجتمع

وقد كان لعلي بن ابي طالب (ع) في تأريخ حقوق الانسان شأن أي شأن واراءه فيها تتصل اتصالا كثيرا بالاسلام يومذاك وهي تدور على محور من رفع الاستبداد والقضاء على التفاوت الطبقي بين الناس ومن عرف علي بن ابي طالب (ع) وموقفه من قضايا المجتمع ادرك انه السيف المسلط على رقاب المستبدين الطغاة وانه الساعي في تركيز العداله الاجتماعيه باراءه وادبه وحكومته وسياسته وبكل موقف له ممن يتجاوزون الحقوق العامه إلى امتهان الجماعه والاستهتار بمصالحها وتاسيس الامجاد على الكواهل المتعبه.

نضجت في ذهن الامام القوي فكرة العداله الاجتماعيه على اساس من حقوق الجماعه التي لا بدلها ان تنتهي بازالة الفروق الهائله بين الطبقات التي يتخم ثريها واميرها ويضوي فقيرها وصغيرها فكان صوته في معركة العداله الاجتماعيه هذه مدويا ابدا وسطوه عاملا ابدا ودفاعه عن قيم الانسان عظيما ابدا شديدا لا هواده فيه ولا لين .كان في حكومته المثل الاعلى للحاكم الواعي لحقوق الانسان في تلك الحقبه من تأريخ البشر ،العامل على تنفيذ منطوقها بكافة ما لديه من وسائل ولم يكن في ذهن الامام ما هو اوضح على وضوح الاشياء جميعا فيه من واقع المجتمع في زمانه كيف يكون وعلى أي اساس من الغبن الاجتماعي يقوم ثم كيف يجب ان يكون وإلى أي مدى يأذن الزمان بتطويره ولم يكن في ارادة الامام على(ع) ما فيها من الدوافع إلى الخير ما يشغلها اكثر مما يشغلها السعي في هذا التطوير ولم يكن في المغريات جميعا ما يجنح بهذه الاراده عن هذا السعي ولا في المؤتمرات ما يكبت فيها بلاقوة الانطلاق إلى العمل والاجاده فيه فليس هنالك ما هو احب على قلب الامام من ان يقيم حقا ويزهق باطلا على اساس يتزعزع من رايه في الحق والباطل

وموضوعاتهما وكان صدقه في التفكير والشعور ثم اخلاصه في تطبيق ما يفكر به ويشعر. سببين في الا يعطي فكره غامضه في شأن من الشؤون العامه ، وفي الا يقف متراجعا امام انتهان الولاة والعمال الاقوياء للجماهير والمستضعفين خصوصا ..وذلك تقريرا لحقوق الانسان الطبيعيه في العيش الكريم وفي الحياة الخيره لا تشطر الناس شطرين فترخي عليهم ستارين مختلفين :اسود موجعا وابيض ضاحكا .

وقد ادرك في ضوء عقله الجبار ان الطبقيه الماديه في الناس ان هي الا سبيل لن يؤدي السير فيها إلى غايات منكره من الجمود في العقل والخبث في النفس وإلى التعسف والنكايه والفجور في الحكم والمعامله ثم الفساد العريض وسائر الاوضاع الملفقه في هذا الجانب الغاصب المنكب على طلب الجاه والثروه بغير بلاء كما يؤدي إلى السقم في الحال والشعور بهوان الحياة وسوء الظن بالانسان .وإلى التباغض والتحاسد في الجانب الاخر الذي يذهب جهده لسواه وفي الجانبين تستقر العوامل المؤديه في النتيجه إلى انهيار المجتمع انهيارا لا شك فيه حتى لكأن طبقتي المجتمع هاتين ما هما الا فكان طاحنان تنسحق بينهما الكفاءات والحقوق وتتمزق الضحايا .

كانت قاعدة الارستقراطين النبلاء في اواخر خلافة عثمان . ولا سيما الامويين منهم ،ان يخرج معظمهم على سنن الاسلام في طلب العداله والمساواة في الحقوق . وان يذلوا الجماهير ويستعبدوها ويلقوا في صفوفها الخوف من الحاكم والذعر حتى المثول بين يديه ،وان يهدروا دماءها كما يهدرون حقوقها اذا وقع ذلك في نفوسهم موقعا حسنا ،وان لا يعفوا عن الرشوة وما اليها ،ثم يبعثوا عن انفسهم ارهاصات تنبئ بما هم ساعون فيه او مقبلون عليه من تخصيب راياتهم بدماء الذمم والحقوق العامه وتحويل الخلافه إلى

ملك ،وديمقراطية الاسلام إلى عنجهية حكم فردي . وبات هؤلاء بين صلابة الامام علي (ع)في العداله الاجتماعيه وبين مطامعهم في الرئاسه والولايه والمال ، يسلكون مسلك المقامرين يترقبون مفاجات الربح والمغنم بين حين وحين.

ولما كانت قاعدة اولئك القوم هذا الفيض من الطمح المنحرف وهذا الاسلوب في التربص بالعداله الاجتماعيه للتركز من جديد على القواعد الوثنيه السياسيه والوثنيه الاجتماعيه ،كان ابن ابي طالب امام تجربه قاسيه غايه في القساوه ،تتشابك عناصرها وتتداخل وتفرض عليه موقفا هو من الصعوبه بحيث يتعثر على صاحبه مداراة الازمه والخروج منها والعصر اضطراب وقلق واحداث رهيبه وهو من الخطوره بحيث يترتب عليه .إلى حد بعيد ، مصير الخلافه والاسلام وما يستوجبانه في الناس من فضائل خلقيه وعداله اجتماعيه . وهو من الدقه بحيث يكون المحك لشخصية صاحبه وحقيقة مواهبه في الوفاء للحقوق العامه ومضاء عزيمته في اشاعة الفضائل الفرديه والاجتماعيه وطاقته على الصبر والصمود .

كان علي (ع) امام تجربه قاسيه ولكن هذه القساوه انما تأخذ معناها وصيغتها من نظر المراقبين البعيدين . اما في قلب الامام وفي ذهنه فما هي من القساوه بحيث تجعله يحيد عن الطريق التي ارتضاها مسلكا ولو قيد شعره فمن اوتي الطاقه التي اتاها الله عليا (ع)هانت لديه القساوات الا قساوة القعود عن اشاعة العداله وروح الحريه والعمل على زرع الفضائل الخلقيه التي تصون هذه الحريه وهذه العداله .

الفصل الثاني

استثمار الدهر
الاسرار والمعجزات
حرية الدفاع ورحابة الصدر
كنز البيان
عيبة الناس
علي الاوتار التي عزفت لحن الخلود
علي فلسفة الحياة
حقوق الانسان
الامام علي ومفاهيمه الانسانية في حقوق الانسان
حقوق الحيوان

استثمار الدهر

لأهمية استثمار الدهر في ساحة الوجود ،يشير الإمام علي (ع) ببيانه الرفيع إلى طابع هذا العنصر الذي اتلف الأمم ،واسقط جدران وجودها،فانهارت عن عظيم جبروتها ،وانتقلت عن كبير صرحها ،فإذا هي خاوية باليه في مسكن من تراب تتقاتل على أجسادها الديدان...

الإمام علي (ع) يحذر من الركون إلى هذا النوع من الدهر ،يأمر بالتنبه منه ،بمراقبة الوجود ، بسلطة العقل ، بشهادة التكوين والخلق ،يصدر قراره بضرورة ملاحظة الحركة البشرية ،بفهم لغة الكون ، بمخاطبة الأشياء ، بتحليل رفعة السماء ، بالغوص في عمق الخلق والأشياء ،في الذره والخلية يؤكد (ع) للبشر أنهم سيشهدون باصرار مطلق بعظيم خلق الله فينزلون على طاعته ويعتنقون قوانين الوجودية السماوية التي تضمن لهم الخلد المبين في عالم الله الأعظم . والا فان ترك هذه النتائج ، والانحراف عن قانون الملاحظة الضر وريه يعني أنهم طعمه للدهر الخطير .من بديهي ولبيان مفرده من مفردات الدهر يقول الإمام علي (ع):

(أين خياركم وصلحاؤكم ؟

وأين احراركم وسمحاؤكم ؟

واين المتورعون في مكاسبهم ؟ والمتنزهون في مذاهبهم ؟

اليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة !

وهل خلقتكم الا في حثالة لا تلتقي بذمهم ا لشفتان ،استصغارا لقدرهم ، وذهابا عن ذكرهم ،فانا لله وانا اليه راجعون)

بل لا تقرا مقطوعة للإمام (ع) وهو في مقام الوصف الوظيفي للإنسان والكون ، الا ويحذر فيها من الدهر ، لان الدهر مجبول على الشيخوخة

والإتلاف والزوال وتنفيذ القوانين الحاطمه ،فلا يفوتنك الا وأنت على خير حال ،على نوع دقيق من الاستثمار ،الاستثمار الوجودي ،الناظر إلى ضمانات الكون ورب الكون ،إلى لغة الآيات والمعجزات ،إلى أشباح النطق ومناطق اللغات ،إلى إسرار الخلق والإمكانات ،إلى منطقة الضرورة والممتنعات ...خطب الإمام علي(ع) يوما بأصحابه إلى إن قال :

(الدهر يخلق الأبدان ،ويجدد الآمال ، ويقرب المنيه ،ويباعد الامنيه .من ظفر به تعب ، ومن فاته نصب)

هذا التعبير مذهل ! يشير إلى حقائق شديدة التناقض ،تسيطر على مرتع الحياة وناموس الإنسان ،فمع إن الدهر يتلف الأبدان ،فان الأمل بدلا من إن يضعف تراه يكبر ويزداد شعلة ووهجا ، فيسير بالإنسان إلى حيث لا يجب إن يكون أو يفعل ،وهو ..في حقيقة الحال ..خطر نازل ،لابد من الحذر منه.

فان الدهر في الواقع يقرب المنيه ، ويسارع الخطوات بك إلى الموت ،فما من يوم من الأيام الا وأنت فيه اقرب من الاخره وابعد من الدنيا ما مضى مضى ،فلا يعوض .وعلى القاعدة :لك عمر محدد من الأنفاس والساعات والليالي والأيام لا تعدوه ،خمسين عاما أو مائة أو عشرين عاما او لحظة عمر ..فإذا انقضى النفس ،وحصل العدد لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون).

من هنا فان الدهر يقرب المنيه ،ومع تقارب الخطى من الموت ، فان المنيه والأمل واقعا ينتقل بمقدارها ، فما هذا الغرور في الأمل الذي يطير فوق الحقائق فينكر نا موس الأشياء ، ويتجاوز الممنوعات والمستحيلات ، فيغوى ويطوي على الصدور ما ستأوي اليه من موت وفوت ودهر وممات ...!وقد صدق الإمام علي (ع) حيث قال : (من ظفر به تعب ، ومن فاته نصب)

كل هم الإمام علي (ع) إن تستثمر الدهر ، إن تستغله في كل ما أمكن على قاعدة :عمارة الدنيا والاخره .

وفي حقيقة الحال : الدهر ليس المشكلة إذا لم تستطع إن تستثمر العمر الشريف في طلب الاخره ونيل رضا الله تعالى ...

وقد قال :إن الدهر لخصم غير مخصوم ، ومحتكم غير ظلوم ، ومحارب غير محروب)

فلن تقوى على الدهر ،ولن تبلغ الجبال طولا ، وأنت مع ذلك مطلوب بالموت وان نسيت ، مدرك به حتى وان كنت في طيات الأرض أو عنان السماء ، وما الدهر الا الزمن الذي أنت فيه، فهو غير ظالم ، لكنه يعمل فيك ، لا ينتظرك ، يجري مجرى الوجود ، يقطع بك القناطر ،يجدف بك الطريق ،يحملك إلى حيث يجب إن تكون ، فهو من حيث الزمن ، كل يوم شبيه بالأخر ، ولو لا الأثر الذي يتركه علينا من شباب وكهوله وشيخوخة

لا عتبرنا الزمن جامدا ميتا لا قيمة له ،لكنه كل لحظة في حركة وسفرة وقنطرة ومحطة ، ونحن فيه ماكثون ،بقطاره جالسون ،لا محيد عن هذا أبدا ،كلما وصل إلى محطة طبعنا بطابعها من طفولة أو مراهقة أو شباب أو كهولة أو شيخوخة .

على هذا يجري في أولنا وأخرنا ، حتى يرد بنا دارا لا شراب فيها الا من كاس المنيه ،أنفاسها الموت ،قواطعها الموت ، مناظرها الموت ،ربما تكون مسكونة بالمرض والإسقام أو بالقتل والعظام ،المهم إن حواجزها الموت ، لا يجوز منها إلى غير ها الا ميت مهدوم الجسد .

على انه منقول بناموس الخلق إلى عالم أخر ومحطة أخرى ،تبدأ بالقبر وتنتهي بالبرزخ ،وتقف عند القيامه بما تعنيه من معاد عظيم ، وتنتهي في

خلد بجنة أو نار ،حسب الإعمال .يقول الإمام علي (ع):

(إن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام ، بل خلقت لكم مجازا لتزودوا منها منها الإعمال إلى دارا لقرار . فكونوا منها على اوفاز (عجله)، وقربوا الظهور للزيال (أي لفراق الدنيا).

فأي عاقل يترك الدهر يعمل فيه ما يعمل ، وهو قادر على إن يحول دنياه إلى مسرح يضمن له الخلد في جنة ورضوان ، ففي قطار الزمن بضاعتان : واحدة قريبه إلى النفس ؟، مجبولة بالغريزة والهفوة والرغبة ، تلت ذبها الأجساد، والحصول عليها سهل يسير ،لكنها تحمل صاحبها إلى النار وغضب الجبار وعذاب لا انقطاع له ،يعد زمن قصير أو طويل من سير القطار ،فيما الثانية فيها شيء من الأولى فيه رغبه ومطلب ، لكنها صالحه مستقيمة ، نازله منزله العقل والنقل ، فيها ضمانة الوجود في كافة محطات قطار الزمن. الأولى لها أناس كثيرون، يرقصون ، يتعرون ،لا يتحملون عبئ التعب والعناء ، فهو سكارى ، عري ، زناة ، شبعون من الرغبة والشهوة والنزوة والهفوة ، قربهن مزمار وطنبور ،يضرب قرب نوافذ العقل حتى يقتلها ، والعقل يصرخ من جور الفعل القاتل وخسارة النتيجة .

إما الثانية فيها شيء واضح من التعب والأناة والمهلة ، تعب الجسد ، ومرارة الانتباه ، ويقظة الطعام والشراب والسلوك ، والصبر ،بل الصوم ، والتحمل ، لكن النتيجة بعده رضوان مذهل ، جنة واسعة ونغم ما رأت عين ولا سمعت إذن ولا خطر على عقل بشر مثلها.

فأين يقف العاقل ..؟ قرب الطنبور والعري وصف الزناة وأهل السكر والقتل والاباده ،أم مع أهل العقل حتى وان تكلفوا التعب والعناء في مسير يطول أو يقصر .!وقد قال (ع) في وصف أهل التقى والحذر :(الا انه قد أدبر من

الدنيا ما كان مقبلا ،واقبل منها ما كان مدبرا ،وأزمع الترحال ،عباد الله الأخيار ،باعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الاخره لا لا يفنى).

كل عاقل لا يملكه إن يتخطى هذه الحجة البالغة ، منها فكر أو تدبر ..هذه دليل العقل على كل إنسان مهما كان وأين رحل . هنا يمكننا إن نعرف حقيقة الدهر ، وانه زمن يمر علينا وعلى الأمم ، لابد له في إبطال الغاية أو تحريف الحقائق ، إنما هو قانون مأمور ، وناموس معمول ،يسير بنا ، وعلى ظهره بضاعتان : واحده صالحه والثانية مفسده ، والبشر مخيرون تكوينا ،؟ وعلى قدر الاختيار المسالة والجزاء .

يقول الإمام علي (ع):(إن الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين ، ما يعود ما قد ولى ، ولا يبقى سرمدا ما فيه ،أخر فعاله كأوله ،متسابقة أموره ، متظاهرة إعلامه)

الزمن هو هو ،إعلامه ظاهره ، أثاره واضحة ، لا يفرق بين أمة وأمة ،كل على مقعده ساكن ، لكن مرتعه فيه كثير من البضائع والمطاعم والمغانم والمغارم ،وامرؤ وما اختار ، تكوينا اجتماعيا ،تحت ظل الحساب والسؤال... لكن هو خطوه بالغه على من أنصرع إمام نزوته وانتقل إمام شهوته فلم يحمل على نفسه بقيد ،ولم يدرك حقيقة الحياة حتى يوظف بضاعتها ومؤونتها في حقائق مسيرة وغاية طريقه ..

هو مشكلة كبيره على سوق التوبة ، وسيطر عليه الأمل ،وأصر على متابعة الطريق دون هدى ، أو رسم من لغة كونيه ، أو ثقافة وجوديه ،أو عقل معجز أو إيه بليغة .. يقول الإمام علي (ع)

(إن الدهر موتر قوسه ، لا تخطيء سهامه ، ولا تؤسى جراحه ، يرمي الحي بالموت ، والصحيح بالسقم ، والناجي بالعطب)

كل إنسان وارد الموت ، معرض بشدة للمرض والإسقام ، نازل منزلة البلايا ، يبني فيترك ، يجمع فلا ينفعه ، ينزل قبره بكفن بلا مسكن او بطاقة هوي هاو دفتر بنك أو وثائق الثروة والجاه والامتياز ، ياتي القبر كما ولد ، وحيدا فريدا، بلا ضامن أو كافل الا العمل . قد يدفعه الدهر إلى ما هو حتمي النزول . وقد قال (ع):

(كيف تبقى على حالتك ، والدهر في إحالتك)

وكما ترى : هو حظ لك على تدارك الدهر ، فانه يعمل فيك ، يحيلك من حال إلى حال ، فهل تبقى الدنيا لك دار خلد ونعيم ام تدور بك مدار الذين سكنوها فأصابهم السقم والبلاء والموت والفناء .!

وإنما أنت في دهر لا يقوم العتب معه ،ولا يجوز الاتكال عليه حتى قال (ع): (من عتب على الدهر طال معتبه)

كل يوم في انتقال وتحول ، قانون وجودي لازم ،من دار إلى دار ، على مسافة معدودة محدودة من الطريق . حتى قال :

(ما قال الناس لشيء، طوبى له ،الا وقد خبا له الدهر يوم سوء)

أي خبا له ما يتلفه ويحوله ، وما قيمة الإنسان الذي يجمع مالا وجاها وثروة وتاجا وعظمه فيما هو نازل منزلة البائسين ، مقتول قتلة الاذلين ، متروك في تربة الخائفين ، مهجور بين ديدان وظلمه وتربه ومدر .. بل قيمته ما أحسن وعمر لما بعد هذه المنزلة ، فان أحسن فاز ، والا فهو من الخاسرين .

الإمام علي (ع) تحدث عن سلطته الزمان وكر الأيام وإدبار العمر وتعاظم أمر الدهر ، ومسكن هذا الإنسان الدنيوي البائس ، مسكن الموتى لا بد إن يرحل عنه .

تحدث (ع) عن أمل لا يدرك ، عن سبيل من سلك فهلك ،عن مولود بريء

لكنه غرض الإسقام ، رهينة الأيام ، هدف المصائب والحطام ،فالمغرور من غرته الدنيا ،التاجر الفاشل من تاجر ببضاعة تقتله في عاجله او اجله ،وما ابن ادم الا رهين المنايا ،غريم البلايا ، أسير الموت ،قرين الهموم ، حليف الإحزان ، وهدف الآفات المتلفات ،صريع الشهوات ، خليفة الأموات .

الإسرار والمعجزات

(الاعتصام بحبل الله ، أي بدينه وشرعه وقيمومته
الشريعة بما تعنيه من جميع جوانبها في شتى نشاطات
البشر من اجتماع وسياسة وتربيه وأخلاق ومدنيات
وغير ذلك ...
وان لزوم الشريعة من أوثق الأسباب على الإطلاق بين العبد وربه.)

يركز الإمام علي (ع) على ضرورة إن يلتفت البشر في نظرتهم الوجودية إلى عمق الأرض وأفاق السماء ، إلى الآيات والمعجزات ، إلى منطقة اللغة الوجودية ، والمكنونات الطبيعية ، إلى التشريع وبينات الرسل الاعجازيه ، إلى بواطن أنفسهم ، والقران قد حشد لغة من أمثال :أفلا تعقلون ،أفلا تتدبرون ، أفلا تبصرون ، ومئات من أمثالها ومواقعها وأذيالها في الآيات البينات ، لتعبر عن منطق وجود ي يجمع بين لغتي الكون والتشريع الحامل لمعنى الإعجاز الرفيع ..وهذا أعظم ما امتازت به لغة الرسالات العظيمة ..

الإمام علي (ع)عبر ولده الحسن(ع) يوصي النوع البشري انه سيمحظهم الراى ، سيعطيهم أعظم الحكم ، سيلفت أنظارهم إلى حقائق الوجودية بأرفع أساليبها ،سيخبرهم عن براهين النظر ، وحجج العقل ،ومضامين كون الطبيعة ودلا لات الأشياء فيقول (ع):

(فاني أوصيك : بتقوى الله ، أي بني ولزوم أمره ،وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله .وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به. أحي قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهاده ، وقوه باليقين ، ونوره بالحكمة ،وذلله بذكر الموت ، وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا ،وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام .

واعرض عليه إخبار الماضين ،وذكره بما أصاب من كان قلبك من الأولين ، وسر في ديارهم وأثارهم ، فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا ، وأين حلوا ونزلوا ، فانك تجدهم قد انتقلوا عن الاحبه ، وحلوا ديار الغربه ،وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم ، فأصلح مثواك ،ولا تبع أخرتك بدنياك ،ودع القول فيما لا تعرف ،والخطاب فيما لم تكلف.)

بهذه القطعه الرفيعة توقف الإمام علي (ع)إمام أمور رئيسيه منها :تقوى الله والوقوف عند هذا المطلب الجليل .

لتكن حياة قلبك وعقلك وضميرك بذكر الله وموعظته ومواثيق الشريعة وما اخذ الله فيها على العباد في الاعتقاد والسلوك والاتعاظ والاعتبار . يركز (ع)على ضرورة إن يحيى قلبه بالموعظة ، بما تعنيه من حكم وأدله ومعارف ومفاهيم ووجوديه واسعة حول الإنسان ودوره ومبدءه ومعاده ،فان الموعظة حياة القلب ، وماءه وحاجته المستمرة ...

الا إن العقل وذاك القلب بحاجه إلى قيد ورسم واحد . لان صراع العناصر في النفس الانسانيه قد يحيله إلى جرافه غريزيه ورافعه شهوانيه وثقل ترابي محض ،فلا تعمل فيه الموعظة لذا لا بد من أمر أخر، وهو اماته ما من شانه الخروج على الشريعة من شهوات النفس من خلال قيدها ،وهذا يتوقف على مفهوم ومعارف وفلسفه وجوديه ربما تختصرها عناوين بسيطة في

الشريعة ،وتفعل فعلها العظيم في النفس ،وهذه الاماته تتوقف على تركيز الموعظة ، وتعظيم أمر الزهاده بالدنيا ، والزهد يعني ترك الحرام وفعل الواجب ، والتزام مواثيق الشريعة ، واحترام نظامها ،والقيام على مبادئها وغاياتها . الزهاده تعني معرفة حقيقة الحياة :مبدأها ومنتهاها، معرفه حقائق الغرور والتدليس فيها .الزهاده في الدنيا تعني إنزالها منزلتها من حيث حقيقتها ،وهذا يتوقف على النظر الصائب ومعرفة أحوال الأمم والشعوب ، أو تسليط الضوء على مظاهر الحياة ، من سعادة وشقاء ، من شبع وجوع ، من سقم وصحة ، من حياة وموت ، من قوة وضعف ، من شدة ووهن ، من ولادة ولحد ، من فرح وبكاء ، من عظمة وانكسار ، من خوف وجوع ووجع ،وضعف وهوان ، ونزلة إثقال وإسقام وخداع الأمل وانكسار الأماني ، وفجأة المصرع ، وصولة كاس المنيه وغيرها من أمثال عظام ..

لكن الموعظة والزهاده تحتاج إلى معرفه وأدوات ، إلى ثقافة وقيم ، إلى مظاهر وحجج . وهذا يعين عليه اليقين ،وقد قال (ع) في ذلك: وقوة باليقين ، تأكيدا منه (ع) على ضرورة سرد المزيد من الحجج والصور والبراهين والتجارب والادله والنماذج التي من شانها إن تعجن قيمة العقل بالعواطف ، وتحيل العاطفة والأحاسيس موظفا مطيعا لسلطنة العقل السليم وحججه في مملكة البراهين .. واليقين كما ترى : يعتد بالدليل والحجة والمراقبة والملاحظة والتحليل والتقرير وشبه ذلك ، وهذا يعني ضرورة إن تكون الحكم هراس العقل، وان يكون العقل عميدا لوجودية الحقائق ومشاهدة الإحداث والأزمان والظواهر والإخبار وشواهد الإسرار ولغة الأشياء ومنطق الكون والطبيعة وشبه ذلك ، أي ضرورة تحويل العقل إلى لغة أمره وفق منطلق الحكم وسلطنة الرفعه في البراهين .

وبهذا الرباعي المترابط : من الموعظة والزهاده واليقين ونور الحكمه ، يولد وجوديه رفيعة تتمثل بمعارف عظيمه وتتمركز على نحو دوافع وقيم وثقافة وعقيدة ومفاهيم وسيره ذات جداره وسلطنه مدهشه ..تدفع الإنسان نحو الجادة التي تضمنه وتكفل حياته ومماته ...

فإذا اشتملت في العقل والضمير والدخيلة مقامات الموعظة والزهاده واليقين والحكمة ،كان لابد من تابع أخر ،وهو استعراض الموت ،الموت الذي يطال الجسد لا الروح ،الذي يشكل نقله نوعية كبرى ، الذي يتم عبره تحويل الوجود من مقام إلى أخر ، ومن ناموس إلى أخر ، ومن إمكانات دنيويه إلى إمكانات أكثر اتساعا في عالم الاخره .

الإمام علي (ع) يقول: (ذلله بذكر الموت ، وقرره بالفناء) أي أقمه على حقيقة الحال ، على مشهد من الأمم القتيلة في مدافنها ، الصريعة في مقابرها ، الساكنة في مغاسلها الصامتة في جمع أممها ، الخاشعة في محضر ربها ، التي تتصدم العقول إمام هول مشهدها .. ذكر قلبك إن الموت واحد من مفردات الوجود العظيم ، الذي لابد كل حي يذوقه وانه مسرح عظيم ،يترتب عليه الانتقال من ميدان العمل إلى ساحة الجزاء ، وانه لمشهد عظيم، وظاهره كبرى فيه يتحدد مصير الأمم والإفراد بين جنة اونار فما أعظم القرار ..

ولا تكفي الزهاده واليقين والموعظة ونور الحكمه ،وذكر الموت ، فلا بد من الانتقال إلى شريط متحرك من فجائع الدنيا ، وصولة الدهر ، وفحش تقلب الليالي والأيام ، فان في تحليل وملاحظه ومراقبة هذه المظاهر ما يجسد عقل البشر على نحو رفيع من القيمة اليقينية والحكمة العينية والزهاده العظيمة . بتعبير أخر :هذه واحده من الإجراءات التي تساعد على تلقين

العقل مشاهد اليقين وعبر الوجود ومسرح الحياة ...

وحتى يكون بناء العقول على نحو من هندسة وجوديه فاعله ،لابد من استعراض مظاهر الحياة ، وفجائع الزمان ،ونوائب الأيام ، بما تعنيه من اثر على الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة ، وهرم الأجساد وتلوي الأنفس ، ووجع الأجسام ، وتعبها ، ومراهقتها ، ووهنها ، وتلاشيها ، وخوائها ، وضعفها المثير ..

الإمام علي (ع) يقول (اعرض عليه إخبار الماضين ،ذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين ، سر في ديارهم وأثارهم ، فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا ،وأين حلوا ونزلوا).

اعرض على عقلك مشاهد الأمم ، ونزلة الدهر ، وتقلب الليل والنهار ،وفجائع الزمن ،وهلكات العمر ،وسلسلة النكبات ، من قتل وأباده وجوع ووجع وظلم وفساد وانكباب إمام سلطان الأيام ، انظر شعوبا حلت وشبت وحكمت وتسلطنت ثم تلاشت فنالت حظها من الموت وكاس الزعاف ،فها هي في بطن الأرض ، تسكن المقابر ، لا تفرق بين جمجمة ملك أو عبد .!كلها عظام نخره ، وأنفس رهينة ، وضيعه في منزلها ، أسيره في قبرها ، خاشعة إمام ربها .انظر إخبار الماضين ، والأمم الأولين ، شاهد أثارهم وديارهم ، أين عظمتهم ؟ أين أنفاسهم ؟ أين أمجادهم ؟ أين الأيدي التي صنعت ورفعت ؟ أين السواعد التي شيدت وأقامت ؟ أين هم ؟ أين سكنوا ..!ثم إلى أين ا ارتحلوا ، ماذا فعلوا ، وعن ماذا انتقلوا ، أين قصورهم منهم ؟ أم أنها قبورهم لا شيئ غيرها يلفهم ..!أين نعمهم وأموالهم ،أين ذهبهم ..!إين امتيازاتهم وعزهم أين بنا ءاتهم وسدنتهم ؟ أين رحلوا ولماذا وكيف ..!وضمن أي إجراء وتحت أي وصف ..! أين حلوا ونزلوا ، وضمن أي شرط وفي أي ارض

..!هل اخذوا ما جمعوا ، هل نفعهم ما ضمنوا ،هل تقبلوا القصور نهاية الأمر أم انقلبوا إلى القبور .. هل في القبر حكمه ، هل في النزلة عبره ، هل في الظلمه اشاره ، ، هل في الظلمه اشاره،هل في النزلة بيان .. هل للقبر لغة ورسائل ، هل للوحدة والوحشة شعار واعتبار ..!

يجيب الإمام على (ع)

(فانك تجدهم قد انتقلوا عن الاحبه ، وحلوا ديار الغربه) فاحذر ،فانك ساكن مساكنهم ، ومتقلب أثارهم ، ونازل أرضهم،وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم، فالحذر الحذر ، فان أمر الاخره رهين أمر الدنيا . وعلى اثر هذه العظة العظيمة يبدأ الإمام علي (ع) بتفريغ المشاهد العظيمة والوصايا الكريمة على مسمع ولده (ع)

ففي المواضيع التي أشار لها الإمام علي (ع) وردت نصوص كثيرة ومدهشه ففي موضوع التقوى التي هي رأس وصية الإمام علي (ع) يمكن الحديث عن مشروع بناء الإنسان ، وتكوين قيمه ذات قدره فاعله بمقاييس عظيمه ، وما من شيء من سلوك أو فعل أو رؤية ومشروع وقيام بوظيفة عامه أو خاصه الا وهو بحاجه للتقوى .

وقد أورد الإمام (ع) أمثله متنوعة عن الدور الوظيفي للتقوى ،ففي كلام له (ع) لما بويع بالمدينة قال :(ذمتي بما أقول رهينة . وانأ به زعيم ، إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات ،حجزته التقوى عن تقحم الشبهات).

تأكيدا منه (ع) لمشروع الإنسان ،سواء كان على رأس سلطنة ذاتيه ، أو عرش عام وحكومة ، أو إدارة مجتمع ، فلا بد من التقوى كبنيه وجوديه دافعه ، موجهة ، مانعه من الزلل والخلل والباطل ودخول الآثام ، بمختلف

معانيها وأنواعها .

يكفي انه لا عدل بلا تقوى ،لان التقوى هي مرادف الالتزام بمواثيق الشريعة والقيام بما تمليه وتفرضه وتلزمه الفرد والجماعة في ايقاعة أو منعه .

حرية الدفاع ورحابة الصدر

أن مسالة المساواة بين الخصوم في اجراء الترافع لم تكن كافيه ما لم تقترن بفسح المجال لهم في ان يقدم كل منهم ما لديه من اقوال او طلبات او دفوع بحرية وبدرجه متساويه بينهم وان احترام القاضي للمتهم او المدعي عليه في الدفاع عن نفسه بحريه يجسد الصوره الحيه من صور العداله فكما ان من متطلبات المرافعه او المحاكمه هو الاستماع إلى اقوال المدعي او المشتكي بكل حريه فان العداله تقضي الاستماع إلى اقوال من اثير ضده الادعاء او الاتهام ودفوعه بنفس تلك الدرجه من الحريه ولعل من المناسب التطرق إلى حادث مفاده ان عليا٠(ع) قد ولى ابا الاسود الدؤلي القضاء ثم عزله فقال الدؤلي مستفسرا من الامام (لم عزلتني وما خنت وما جنيت ؟)فاجابه الامام (ع): اني رايت كلامك يعلو كلام الخصم .هذا يعني ان الامام راي من تلك الواقعه ما يدعوه إلى تنحية الدؤلي من منصب القضاء لانه لم يكن يتحلى بالحلم الذي يقضي ان يتجسد في مثله كما ان هذه الواقعه تدلنا على مدى مراقبة الامام لقضائه بدليل قوله (رايت كلامك) والرؤيا تعني انه (ع) كان حاضرا في مجلس قضاء الدؤلي وسمع كلامه .

فالقاضي يجب ان يكن رحب الصدر بحيث(لا تضيق به الامور) عند التنوع في الخصومات وتضارب اوجه القول فيها وتعدد او تشعب جزئياتها التي ربما لايعثر بشانها على نص في المصادر الاصليه اذ هنا عليه ولوج باب

الاجتهاد بكل انفتاح ورحابه وبدون تردد وعيه في الوقت نفسه ان لا ينهر الخصوم او يعلو صوته على صوتهم كما لاحظنا في واقعة تنحية الامام للدؤلي او يزجرهم بحجة كثرة دعاويه او غموضها لانه نهره وزجره اياهم يكون قد استنكف عن احقاق الحق او تعسف في عمله .

ومساله عدم وجود النص لا يصلح للقاضي ان يقف منها موقف الصامت الحائر انما عليه التعامل معها وفقا لقاعدة (لا تخلو الواقعه من حكم اذ عليه هنا انتهاج طريقة الاصوليين الذين يمارسون التفريغ الفقهي في اوسع نطاقه وما الاجتهاد سوى احدى تجسيدات ذلك التفريغ فاستنباط الاحكام لابد من ان يتم من ظواهر الكتاب والسنه او من بواطنهما وقد خطب الامام علي (ع) ذات يوم فقال :(ان لله حدودا فلا تعتدوها وفرض فرائض فلا تنقصوها وسكتوا عند اشياء فلا تكلفوها رحمة من الله بكم فاقبلوها) ثم اضاف (حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك فمن ترك ما تشتبه عليه من الاثم فهو لما استبان له ..والمعاصي حمى الله فمن يرتع حولهن يوشك ان يدخلها)

وان حرية الدفاع لا تعني اطلاق العنان للخصوم والا فان ساحة القضاء ستكون مرتعا للفوضى وان اقوالهم يقتضي التامل فيها لان القاضي كما قلنا غير مكبل بالقيود ما دامت مهمته تنحصر في كشف الحق – لا انشائه – محل التنازع او الاعتداء فهو مكلف في مراقبة مجريات الترافع واقتناص كل ما يفيد في كشف الحقيقه لذا نجد الامام (ع) في عنده الاغر لمالك الاشتر وجد وجوب ان يكون القاضي اصبر الناس (على تكشف الامور) لا بل عليه ان لا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه ما دام مكلفا بكشف الحقيقه واحقاق الحق لا انشاؤه فالدعوى المنظوره امامه ليست سوى وسيله للحصول على الحق بعد كشفه من خلال الادله دون ان تكون هي الحق بالذات وهي كاجراء لا يشترط

لقبولها وضوح الحق ابتداءا انما على القاضي التحقق من ثبوته عبر اجراءاته في مجلس قضائه ما دامت الغايه الاساسيه من اثارة الدعوى امامه .مدنيه كانت هذه الدعوى ام جزائيه .هي الوصول إلى حكم القضاء بتقرير وجود الحق المدعى به وعائديته من عدمه ،وهنا تتجلى فنية القضاء ذلك لانه عملية المرافعه او المحاكمه ليست مسالة اجرائيه فقط انما هي اجراء عمليات عقلية معقده تبدا بفهم الواقع بكل تان وصبر ومن ثم الفهم الكامل للنص الشرعي الذي ينطبق عليها واخيرا تطبيق كل منهما على الاخر بغية الوصول إلى الوصف الشرعي المقتضى للقضيه مثار الدعوى وترتيب الاحكام عليها .

ومسالة وجوب ان لا يكتفي القاضي (بادنى فهم دون اقصاه) من كلام علي عليه السلام المار ذكره يعني ان لا يكون القاضي مقتنعا بما خطر له من راي او اعتقاد من امر الخصوم بل عليه التقصي وبذل الوسع في البحث والتحقيق حتى يقع على حقيقة النزاع وجلية الامور دون ان ياخذه الشرور او المظهر لان مثل هذه الامور من شانها المساس بمجريات التحقيق او المرافعه وبصحتها فتدوين الاقوال من قبل كاتب القاضي بشكل المرسل لا يكفي لاخذالصوره الحقيقيه لما تنم عليه تلك الاقوال ما دامت في منأى عن المناقشه وفي غفلة من لدن القاضي فلعل كلمة من هذا او اشارة من ذاك تظهر من الحقيقه بعض غوامضها وقد تكشف له دقة الملاحظه والصبر وسرعة الخاطر امور لم تكن بالحسبان .

ولعل من المناسب والطريف ان نذكر ما رواه ابن الجوزي عن ابي العطوف قاضي حران عندما تقدم اليه رجلان وقد ادعى احدهما بان خصمه قد ذبح ديكا له فاجابهما على الفور ومن دون تامل :عليكما بصاحب الشرطه فهو الذي ينظر في الدماء ،فقد ادرج هذا القاضي في قائمة الحمقى والمغفلين

وكان ابن الجوزي موفقا في هذا الادراج لان المذبوح لم يكن انسانا انما هو ديك حيث ان جرائم الدم كان ينظر التحقيق فيها ابتداء من قبل الشرطه – شان وقتنا الحاضر – ومن الامثله في القضاء العربي نذكر ما ورد عن الشعبي فقد كان جالسا ذات يوم في مجلس قضاء شريح واذا بامرأه تدخل عليه وهي تبكي وتشتكي من زوجها وقد اثر بكاؤها الشديد على عواطف الشعبي فبادر مندفعا بالقول :اصلحك الله يا شريح ما اراها الا مظلومه ،فساله شريح :ما علمك ؟

اجاب الشعبي : لبكائها فقال شريح :لا تفعل فلا تتسرع في مثل هذا الراي فان اخوة يوسف (ع) جاؤا اباهم يبكون وهم ظالمون ...

وقد ورد عن الامام علي عليه السلام (من اسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون) ذلك لان (اللجاجه تشل الراي) وان (من لم ينجه الصبر اهلكه الجزع) كما ان على القاضي ان لا يتمادى في الزله مادام هو انسان غير معصوم فالرجوع إلى الصواب والعدول عن القرار الخاطئ والرجوع عنه من مستلزمات القاضي الثبت ولا يسمح لاعتداد بالراي والاصرار على الخطا ان لا ياخذ ماخذه فيه . وعلى كل حال فان على القاضي اخيراعندما تهيات الدعوى لديه ووضحت معالمها وبلغت مراحلها النهائيه ان لا يكون صاحب راي صارم بالحق وقول فاصل ثابت اذ كما يقول عليه السلام :((في عهده للاشتر ...واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء) فالصرامه في الحكم مظهر لقوة الشخصيه واستقلاليتها لذا على القاضي لكي يحصن قوة حكمه ان يكون صارما فيه كي لا تاخذه في الحق لومة لائم ما دام قد صدر بروح محايده وبدقه .

ويقول المفكر الفرنسي (باسكال) ان (البلاغه الحقيقيه تسخر من البلاغه)

ذلك لان الذين يعمدون ترديد الصيحات العاليه والاساليب الانشائيه البراقه والكلام المعسول او اختلاف الوقائع بشكل بارع للتاثير على المتقاضين لا يؤثرون على القضاة الذي لا يعبئون الا بجوهر النزاع ولا يهمهم الا الوصول إلى الحقيقه وكشف الحق بكل صلابه وان اثبات القضاة على هذه الروحيه النقيه الصلبه ليس سوى خصيصه طبيعيه لمن لا يكترث بالمفاجات ولا تهزه الاعاصير او حسد الحاسدين .

ونرى الرسول قد حمد الباري تعإلى في اكثر من مناسبه لما لمسه من دقة احكام علي بن ابي طالب عليه السلام القضائيه وصرامته في احقاق الحق حتى قال عنه يوما (الحمد لله الذي جعل فينا اهل البيت من يقضي بسنن داود)

وقد اسس علي بن ابي طالب قضاء لا مثيل له من العدل والانصاف والحق .ملحمة باقية على مر العصور.

كنز البيان

دستور الامام (ع) في الولاة

لاتقاتلوهم حتى يبدؤوكم ، فاذا كانت الهزيمه باذن الله فلا تقتلوا مدبرا ولاتصيبوا معورا ولاتجهزوا على جريح ولاتهيجوا النساء

باذى وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم !

من كتاب له إلى زياد ابن ابيه وهو على البصره :

واني اقسم بالله صادقا لئن بلغني انك خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا او كبيرا لاشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ، ثقيل الظهر ضئيل الامر!

من عهد له إلى محمد بن ابي بكر حين قلده مصر :

فاخفض لهم جناحك وابسط لهم وجهك واس بينهم في اللحظه والنظره حتى لايطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم.

من وصيه له كتبها لابنه الحسن من صفين :

يابني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين الناس فاحبب لغيرك ماتحب لنفسك واكره له ماتكره لها ولا تظلم كما لاتحب ان تظلم واحسن كما تحب ان يحسن اليك واستقبح من نفسك ماتستقبح من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولاتقل مالاتعلم ما تعلم ولاتقل مالاتحب ان يقال لك .

و من ظن بك خيرا فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ من اضعت حقه ولايكن اهلك اشقى الخلق بك ولايكونن اخوك على مقاطعتك اقوى منك على صلته ولايكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان .

من كتاب له إلى بعض عماله :

بلغني انك جردت الارض فاخذت ماتحت قدميك واكلت ماتحت يديك فارفع لي حسابك !

من كتاب له إلى منذر بن الجارود العبدي وقد خان الامانات العامه في بعض ماولاه من اعماله :

اما بعد فان صلاح ابيك غرني منك وظننت انك تتبع هديه وتسلك سبيله فاذا انت فيما رقي الي عنك ،لاتدع لهواك انقيادا . ولئن كان مابلغني عنك حقا لجمل اهلك وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس باهل ان يسد به ثغر او ينفذ به امر، او يعلى له القدر او يشرك في امانه او يؤمن على

خيانه فاقبل الي حين يصل اليك كتابي هذا ان شاء الله .

من كتاب له إلى العامل السابق نفسه :

كيف تسيغ شرابا وطعاما وانت تعلم انك تاكل حراما وتشرب حراما وتبتاع الاماء من مال اليتامى والمساكين فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن إلى الله فيك ولاضربنك بسيفي الذي ماضربت به احدا إلى دخل النار !

من كتاب له إلى مخنف بن سليم عامله على اصبهان وهمدان :

وانا قد هممنا بالمسير إلى هؤلاء القوم الذين استاثروا بالفيء واماتوا الحق واظهروا في الارض الفساد واتخذوا القاسطين وليجة فاذا ظالم ساعدهم ظلمهم احبوه وتعاونوا على الاثم وكانو ظالمين .

من كتاب له إلى عامله على اردشير وقد بلغه انه يقسم الاموال في بني قومه :

بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت الهك واغضبت امامك فوالذي فلق الحبه وبرا النسمه لئن كان حقا لتجدن بك علي هوانا ولتخفن عندي ميزانا!.

من كتاب له إلى عماله على الخراج :

فانصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجكم ولاتحسموا احدا عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولاتبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولاصيف ولادابة يعتملون عليها ولاتضربن احدا سوطا لمكان درهم !

من كتاب له إلى سهل بن حنيف الانصاري وهو عامله على المدينه:

اما بعد فقد بلغني ان رجالا ممن قبلك يتسللون إلى معاويه فلا تاسف على مايفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فانما هم اهل دنيا مقبلون عليها ومسرعون اليها وقد عرفوا العدل وراوه وسمعوه ووعوه وعلموا ان الناس عندنا في الحق اسوة فهربوا إلى الاثرة فبعدا لهم وسحقا انهم والله لم ينفروا من جور ولم يلحقوا بعدل !

من كتاب له إلى الامراء الاجناد لما استخلف :

اما بعد فانما اهلك من كان قبلك انهم منعوا الناس الحق فاشتروه واخذوهم بالباطل فاقتدوه.

من كتاب له إلى احد عماله :

اما بعد فلا يكن حظك في ولايتك مالا تستفيده ولاغيظا تشفيه ولكن اماتة باطل واحياء حق !

ومن كلام له قبل موته على سبيل الوصيه بعد ان ضربه ابن ملجم وفيه يامر اهله واتباعه بالعفو عن قاتله :

انا بالامس صاحبكم واليوم عبره لكم وغدا مفارقكم ان ابق فانا ولي دمي وان افن فالفناء ميعادي وان اعفوا فالعفولي قربه وهو لكم حسنه فاعفوا!

ومن كتاب له إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكه :

اما بعد فعلم الجاهل وذاكر العالم ولايكن لك إلى الناس سفير الا لسانك ولاحاجب الا وجهك ولاتحجبن ذا حاجه عن لقائك بها فانها ان ذيدت عن ابوابك في اول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال مصيبا به مواضع الفاقه والخلات ومافضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه في من قبلنا .

من كتاب له إلى امرائه الجيوش :

اما بعد فان حقا على الوالي ان لايغيره على رعيته فضل ناله ولاطول خص به وان يزيده ماقسم الله له من نعمه دنوا من عباده وعطفا على اخوانه الا وان لكم عندي ان لا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا اطوي دونكم امرا الا في حكم ولااؤخر لكم حقا عن محله وان تكونوا عندي في الحق سواء وان انتم لم تستقيموا على ذلك لم يكن احد اهون علي ممن اعوج منكم ثم اعظم له العقوبه ولايجد عندي فيها رخصه.

طائفه من خطبه

يااشباه الرجال من خطبه له بعد ان غزا سفيان بن عوف من بني غامد بلده الانبار الواقعه على الشاطئ الشرقي للفرات وقد بعثه معاويه لشن الغارات على اطراف العراق تهويلا على اهله :

وهذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقد قتل حسان البكري وازال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجالا صالحين .

ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأ ة المسلمه والاخرى المعاهده فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ماتمنع منه الابالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين مانال رجلا منهم كلم ولا اريق لهم دم فلو ان امرا مسلما مات من بعد هذا اسفا ما كان به ملوما بل كان عندي جديرا فيا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولاتغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالسير اليهم في ايام الصيف قلتم هذه حماره القيظ امهلنا يسبخ عنا الحر واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر امهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فرارا من الحر والقر فانتم والله من السيف افر يا اشبه الرجال ولارجال حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال لوددت اني الم اركم ولم اعرفكم معرفه والله جرت ندما واعقبت سدما قاتلكم الله لقد شحنتم صدري غيضا وجرعتموني نغب التهمام انفاسا وافسدتم علي راي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش :ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لاعلم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم اشد لها مرسا واقدم فيها مقاما مني ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها انا قد ذرفت على الستين ولكن لا راي لمن لايطاع !

عيبة الناس!

من كلام له في النهي عن عيبه الناس ورحمة اهل الذنوب:

وانما ينبغي لاهل العصمه والمصنوع اليهم في السلام ان يرحموا اهل الذنوب والمعصيه ويكون الشكر هو الغالب عليهم وإلى جزلهم عنهم فكيف بالعائب الذي عاب اخاه وعيره ببلواه اما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو اعظم من الذنب الذي عاب به ؟ وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله ؟!يا عبد الله لا تعجل في عيب احد بذنبه فلعله مغفور له !

اقوال بغير علم؟

ايها الناس المجتمعه ابدانهم المختلفه اهواؤهم كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء ماعزت دعوه من دعاكم ولااستراح قلب من قساكم أي دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أي امام بعدي تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الاخيب اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم ولا اوعد العدو بكم . مابالكم؟ مادواؤكم؟ماطبكم؟ القوم رجال امثالكم اقوالا بغير علم وغفلة من غير ورع وطمعا في غير حق؟!

ويزداد الظالم عتوا!

ومن خطبه له :

ايها الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن كؤود يعد فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم عتوا لاتنفع بما علمنا ولانسال عما جهلنا ولانتخوف قارعة حتى تحل بنا من الناس من لايمنعه الفساد الا مهانه نفسه وكلاله حده ونضيض

وفره ومنهم المصلت لسيفه والمعلن بشره والمجلب بخيله ورجله قد اشرط نفسه لحطام ينتهزه او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان ترى الدنيا لنفسك ثمنا !

حب السلم

من كلام له وقد استبطا اصحابه اذنه لهم في القتال بصفين !

اما قولكم :اكل ذلك كراهية الموت فوالله ما ابالي ادخلت على الموت او خرج الموت الي واما قولكم:اشكا في اهل الشام ؟فوالله مادفعت الحرب يوما الا ان اطمع ان تلحق بي طائفه فتهتدي بي وتعشوا الي ضوئي وذلك احب الي من ان اقاتلها على ضلالها وان كانت تبوء باثامها !

اسفلكم اعلامكم

من كلام له يجري مجرى الخطبه لما بويع بالمدينه :

والذي بعثه بالحق لتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود اسفلكم اعلامكم واعلاكم اسفلكم والله ماكتمت وشمة ولاكذبت كذبه!

زجر النفس

ومن خطبه له

زنوا انفسكم قبل ان توزنوا وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناذق وانقادوا قبل عنف السياق واعلموا انه من لم يعن على نفسيه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولاواعظ!

عتب العتاب.

من خطبة له لما اريد على البيعة بعد مقتل عثمان :

دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان ،ولا تقوم لها قلوب ولا تثبت عليه العقول .وان الافاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت ،واعلموا ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ،ولم اصغ إلى قول القائل عتب العاتب .وان تركتموني فانا احدكم ولعلي اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم .وانا لكم وزيرا خير لكم مني اميرا .

تشكل الدنيا الهم الرئيسي في مخطط البشر وشطوطهم ،وياتي في اولوية هذا الهم (مفهوم الحياة) بما يعنيه من (وجودية) اوسع من مساحة الدنيا وكينونتها.

وبهذا المعنى شهد البشر جوله واسعه حول قضايا الدنيا ،والحياة والموت وما بعد الموت وصولا إلى المعاد ومايعني المحشر وما يلزم هذه العناوين من صفات واطر ..

ومنذ اليوم الاول.

علي الأوتار التي عزفت لحن الخلود

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم وأسمع بالنبي مناديا
وقد جاءه جبريل عن أمر ربه بأنك معصوم فلا تك وانيا
ويلغهم ما أنزل الله ربهم اليك ولا تخشى هناك الأعاديا
فقام به أذ ذاك رافع كفه بكف علي معلن الصوت عاليا
فقال:فمن مولاكم ووليكم ؟ فقالوا ولم يبدو هناك تعاميا
الهك مولانا وأنت ولينا ولن تجدن فينا لك اليوم عاصيا
فقال له :قم ياعلي فأنني رضيتك من بعدي أماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا :أ للهم وال وليه وكن للذي عادى علي معاديا
فيا رب أنصر ناصريه لنصرهم أمام هدى كالبدر يجلو الدياجيا

علي(ع) الأوتارالتي شهد لها الزمن بالخلود. علي (ع)معجزة الدهر،علي (ع)فحل الفحول،علي (ع)زوج البتول ،علي (ع)ولي الله ،علي (ع)الشجاع ،علي (ع)الفكر والعدالة ،علي(ع) عدل الأنسانية ،علي (ع)مصلح المجتمع ،علي (ع)البحر والجبل،علي(ع) فلسفة الحياة،علي(تبرودرر).

علي(ع) المعجزات ،علي (ع)الكرامات ،علي (ع)هدير الامواج ، علي (ع)أعظم العظماء ،علي (ع)معين لا ينضب من الخبرة والعبرة والايمان والأمل ،قمة نتطلع اليها بشوق وشغف ولهفة ،المنارات التي تكشح الدياجير من أبصارنا ،علي (ع)كفاح لرفعتنا ،علي (ع)الأوتار البيض التي رسمت معالم التاريخ الأسلامي ،أنه معنا في كل حين ،ظل معرفة ناطقة على مر العصور والأجيال ،علي(ع) الفكر المتوهج التي عجزت الدنيا عن وصفه ،بقى نبراسا على مر الدهور رغم السنين ،فجر الأسلام ينابيعه الشهيه،حياته

فذة ،تغنى به الشعراء،وكتب بعظمته الكتاب ،بطولاته ما أقتصرت يوما على ميادين الحرب ،فقد كان بطلا في صفاء بصيرته ،وطهارة وجدانه وسحر بيانه ،وعمق انسانيته ،وحرارة أيمانه ،وسمو دعته ،ونصرته للمحروم والمظلوم من الحارم والظالم وتعبده للحق أينما تجلى له الحق .وهذه البطولات ،ومهما تقادم بها العهد لاتزال مقلعا غنيا نعود اليه اليوم وفي كل يوم كلما أشتد بنا الوجد إلى بناء حياة صالحة ،فاضلة .

أنه مشرق بعواطفه كبير بسماته رفيع بقدره عظيم بجاهه عليم بفكره دائم بعطائه قوي ببصيرته خالد بنبله سمح بطباعه أنسان بأنسانيته حليم بقلبه وديع بحبه رشيد بسلوكه نديم بسماحته أنه علي (ع) العلو والرفعة والسمو والخلود.

يسمو سموا ويزهو زهوا ،لونا عذبا أجمل الالوان وأنقاها ،أتزان في التقدير والتفسير .

أنه ليستحيل على أي مؤرخ أو كاتب ،مهما بلغ من الفطنة والعبقرية ،أن ياتيك حتى في الف صفحة بصورة كاملة لعظيم من عيار الأمام علي عليه السلام ولحقبة حافلة بالأحداث الجسام كالحقبة التي عاشها ،فالذي فكره وتأمله وقاله وعمله ذلك العملاق العربي بينه وبين نفسه وربه لما لم تسمعه أذن ولم تبصره عين . وهو أكثر بكثير مما عمله بيده أو أذاعه بلسانه وقلمه .وأذ ذاك فكل صورة نرسمها له هي صورة ناقصة لا محالة ،وقصارى مانرجوه منها أن تنبض بالحياة .

الا أن العبرة هي تفحص ما أتصل بنا من أعمال علي (ع)وأقواله ،ثم في تفهمه تفهما دقيقا عميقا ،ثم في عرضه عرضا تبرز منه صورة الرجل كما تخيلته الأفكار والقلم والقرطاس ..

علي (عليه السلام) وفلسفة الحياة

عرف الفيلسوف البريطاني (بير تراند) رسل الفلسفة بما يفهم منه الفكر أو مجموعة الأفكار التي تحتل موقعا وسطيا بين العقيدة الدينيه التي ترفض أية أهميه للعقل الانساني ودوره في تطور حياة الأنسان وبين العقيده الماديه التي ترفض أية أهمية للروح وأن كل أمر حياتي خاضع للمادة وتفاعلاتها ،منها تحتل الفلسفة حيزا واسعا يقع بين نقيضين ،حيث يوجد مجال للتطور والبحث في مجموعة العلوم الأنسانية والطبيعية .

ويقول الفيلسوف البريطاني (لفهم الزمان في مجتمع ما يجب أن نفهم فلسفته) كتب العديد من المفكرين وبمختلف اللغات عن الأمام علي عليه السلام وفلسفته كل من زاوية أو مدخل ،ورغم دراستي المحدوده لفلسفة الأمام علي عليه السلام وأساسها كتاب نهج البلاغه وهو مجموع ما أختاره (الشريف الرضي)من كلام أمير المؤمنين وبشرحه الشيخ محمد عبده ، كذلك دراسة ما كتبه طه حسين ومحمود عباس العقاد وجورج جرداغ في كتابه الأمام علي صوت العدالة الأنسانية ، وجدت أن هناك قضيه مهمه لم يجر بحثها بشكل كاف وتفصيل الا وهي قضية الزمان وعلاقة الأنسان به ،في فكر الأمام علي (ع)،خاصة وقد ورد ذكر الزمان في أكثر من مائه مره في كتاب نهج البلاغه. ينطلق الأمام علي عليه السلام عند تطرقه لموضوعة الزمان من منطلقين لكل منها شروطه وأحكامه .

الزمان الرياضي (الفيزياوي) والمرتبط بدورة الأرض حول نفسها وحول الشمس أو دورة القمر حول الأرض ودورة الأرض حول نفسها حيث يقول عليه السلام (ما من يوم يمر على أبن ادم الا قال له أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فقل في خيرا ،وأعمل خيرا فأنك لن تراني بعد أبدا) وهذا يعبر بوضوح أن الأنسان

ما أن يموت فلا رجعه له إلى هذه الأرض وبهذا يخالف العديد من فلاسفة الشرق ومن ديانات هندوسية وبوذية وغيرها من التي تؤمن بعودة الانسان مرة اخرى إلى الارض على شكل انسان او اشكال حياتيه أخرى والتي لا مجال هنا للتطرق اليها وكذلك قوله عليه السلام (ما أسرع الساعات في اليوم وأسرع الأيام في الشهر وأسرع الشهور في السنة وأسرع السنين في العمر) وهنا لا يشير الأمام علي عليه السلام إلى السرعة الفيزيائيه أو الرياضية بل إلى ما هو نسبي متعلق بعمل الأنسان وما ينجزه في فتره زمانيه محددة وما عليه وما له ، الوقت يمضي مسرعا أن كان لك هدف على هذه الأرض يهمك تحقيقه ،ويدعو إلى عدم الكسل فلا مجال للتأجيل فالأيام مسرعه تمضي .أ لزمان الفيزيائي الرياضي هو ما تؤرخ به الأعوام والأحداث ويقاس به عمر الأنسان ، الوقت الفيزيائي محدد ولكن ما يمكن أنجازه يعتمد عليه الأنسان ،والزمن الفيزيائي محدود في عمر الأنسان مهما طال ولكن نظرة الأمام إلى الزمن بشكل نسبي لسرعة الزمن وبمقدار ما ينجز . هذا العمر الزماني الأنساني موضوع تحت تصرف الأنسان وكيفية أستعماله يعود للأنسان ،يرتبط بالعقل والفكر وقدرة أستيعابها للحياة ، وقدرة تعقيداتها وتطورها ،وتطوير لمفهوم الزمان وكيفية الأستفاده من محدوديته ونسبيته ودور الأنسان وأدواته في هذا التطور .

أما موضوعية الزمان الأخرى التي يتحدث عنها الأمام فهي الزمان بمعنى الأحوال ، أحوال الأنسان وما يتعلق به من أمور المجتمع والحكم والأقتصاد والأخلاق والعلم والثقافة ، أي الحقائق الوضعية للحياة ،ما كان بالأمس وما عليه اليوم وما يمكن أن يكون عليه غدا وأهمية الأستفاده من العقل والرجوع اليه في التعامل مع أمور الحياة حيث يقول (العقل على كل حسام قاطع)

ومن ثم قوله (لا تفاخروا بالأباء ،فالعاقل من كان يومه خيرا من أمسه) أية روعة فكريه بلاغية بجملة قصيره يشير فيها الأمام إلى أهمية أستعمال العقل والرجوع اليه في التعامل مع أمور الحياة ، ودور العقل في تطوير أحوال المجتمع والتي هي بالتالي الزمان . لذا نستطيع التاكيد أن موضوعية الزمان الحياتيه ، الدهر ، من حياة وأمور المجتمع يختلف بها عن موضوعية الزمان الفيزيائي من حيث قوله (من أمن الزمان خانه ومن أعظمه أهانه ، ليس من رمى أصاب ،أذا تغير السلطان تغير الزمان)

كذلك قوله (عدل السلطان خيرا من خصب الزمان)

كل هذه الأقوال متكاملة متلاحقة توضح لنا فلسفة الأمام علي عليه السلام ، يقدمها للأنسان ليدرك أمور حياته أذا فكر وعرف الأفادة منها ،كما يوضح لنا العلاقة بين علي عليه السلام منها ، الحاكم السلطان والمجتمع وتأثير السلطان على الزمان ،أن الزمان وواقعه يتأثران بعوامل عده منها العقل ومنها السلطه ومنها الأحوال الطبيعية.

الحاله الوضعية.

من هذه الأقوال نستطيع معرفة موقف الأمام علي عليه السلام من الزمان (الوقت) والزمان الحاله الوضعية والتي وصل اليها مجتمع ما نتيجه تراكم المعرفه الأنسانية .

حاول العلماء تفسير الزمان بأعتباره :أ لتقدم المستمر وغير المحدود للوجود وللأحداث في الماضي والحاضر والمستقبل كمنظومة واحدة :وهذا التعريف أعتبره خلاصة لما جاء به الفلاسفة عبر العصور من(بوذا وسقراط وكانط)وغيرهم في تعاملهم مع التراكم الزماني للمعرفه الأنسانية عبر

العصور .وجاء هذا التعريف قريبا لفكر الأمام علي (ع) فعندما يتكلم عن الزمان الفيزيائي والوجود الوقتي للأنسان على الأرض وعمره المحدود طال أم قصر ،بالرغم من محدوديته ، لا ينصح عباد الله بالتنسك والترهبن .

أنتظارا لأنتهاء حياتهم على هذه الأرض بل يدعوهم للعمل وكأنهم يعيشون أبدا ، ولكن هذا العمل ربطه الأمام علي (ع) برابط وازع وحقيقي أن هناك موت بعد هذه الحياة وبعد الموت يأتي تقديم الحساب ، لذا فأن عمل الأنسان يجب أن يرتبط دائما بالعدل والخير وأحقاق الحق ورفض الجور والأستعباد ، ورفض العصبية مهما كان أساسها حيث نسب للأمام علي قوله (أبليس أساس العصبيه وحكم الله في أهل السماء وأهل الأرض لواحد). وهنا ندخل في فكرة أخرى للأمام علي (ع)في قضية المساواة بين أهل الأرض . والتي ليست موضوعة هذا البحث . نعود مرة أخرى للحديث عن موقف الأمام علي (ع) بالنسبه للحاله الزمانية الوضعية حيث يقول : (لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فأنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم): أن العمق الفكري الأيماني لهذه المقوله مذهل حقا فهو الأنسان الذي نشأ في بيئه بدويه قسريه بالأساس ، لم يذهب لمدرسة او جامعة ولم يسافر إلى مراكز للفكر والعلم ولم تتوفر له أمكانية الحوار التي توفرت (لسقراط وافلاطون وكانط ولوك)وغيرهم من أساطين الفلسفة والفكر الأنساني ، منغمسا في القتال من أجل الدعوة الأسلامية في المعارك العديدة والتي تتطلب من أوامر وضبط يتوصل بذهنه الوقاد ومن مراقبته للأنسان وما يشاهد من سلوك إلى فلسفة واضحة متكاملة تمس العديد من جوانب الحياة وتعبر عن خزين فكري أنساني النزعه يؤمن بالتطور والتقدم وأهمية تكيف الأنسان مع هذا التطور الأجتماعي .

أنها لفلسفة الحياة تفاؤليه ، ملتزمه بقاعده التطور الأنساني مع أفق واسع

من الحرية الشخصية .. ، تراكم التجارب مع توالي الزمان الفيزيائي ، وتراكم السنين الواحدة بعد الأخرى تتراكم معارف الأنسان من تجارب من سبقه لهذه الدنيا وترك أثرا حضاريا يضاف إلى ما تركه من كان قبله .لنلاحظ كيف إلى التنقل على الأرض كمثال بسيط للتراكم المعرفي ،أبتدا بسير الأنسان على قدميه ، ومن ثم التنقل على ظهور الحيوان وأختراع العجلة وسحب العجلة من قبل الحيوان ،ثم أكتشاف قوى البخار وتطور أستعمال ذلك ومن خلال تراكم المعرفة الأنسانية يتنقل الأنسان بواسطة الطائرات ولا نعلم إلى أين سيقود التطور المعرفي للأنسان هذا ،والتنقل جزء واحدومثال بسيط من مجالات المعرفه التي تتطور كل يوم ،من أمور التطور العلمي والغذائي والأجتماعي والاقتصادي الخ ،ويقارن الأمام علي (ع)وضع المجتمع كوضع الأنسان حيث يقول (فأنك أول ما خلقت جاهلا ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ، ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ،ثم تبصر بعد ذلك) لنطبق هذه المقوله على حالة المجتمع الأنساني منذ القدم حتى حاضرنا اليوم . فالمجتمع الأنساني بدا بسيطا ، وتعلم من تجربته في التعامل مع الطبيعة ومن تجربة الاخرين ومن أستعمال عقله يقر ويسير في درب التطور الأنساني العالمي ، وفي مختلف مجالات الحياة .

الروعة في فلسفة علي(ع) وما تعلمنا أياه أن حياة الأنسان على هذه الأرض مهما طال عمره محدود ولكن عمر الأنسان عبر المجتمع مستمر الأنسانية ،وكان الأنسان قبل أختراع الكتابه ينقل تجربته شفاها ولكن بعد أختراع الكتابه بدأ التراكم المعرفي للأنسان يسرع من وتيرته والان وعبر الأنترنيت والكومبيوتر أصبح التراكم المعرفي يختزل الف سنه مضت بسنة واحدة :ونعود من جديد إلى قول الأمام علي(ع) (الزمان غير زمانكم) فبهذا الربط

الجميل بين الزمان (الأحوال الوضعيه)لجيل وتغيرها مع جيل يأتي بعده فأنه يوصي بأهمية الالتزام بقيم أنسانيةجاءت بها وأكدتها التعاليم الدينية،الحق والأيفاء بالوعد وأحترام الاخر ورفض السحت الحرام مهما كانت الصيغة التي يتلبس بها للمساواة بين بني البشر ، حتى أوصل الأمر أن يقول (حكم الله في أهل السماء وأهل الأرض لواحد) كذلك حث الناس على أستعمال الفكر من أجل تطور الزمان أذ يقول الفكره (تورث نورا والغفلة تورث ظلمة)، وأهتمام الأمام علي عليه السلام ونصحه المستمر من خلال أحاديثه أو رسائله إلى عماله أو خطبه لهي دلا لةواضحة على رؤيته في التواصل الأنساني المعرفي وتطور المجتمعات وقواعد هذا التطور كما أن ربطه للحياة المؤقته للأنسان الفرد على هذه الأرض والتي تحمل معها أستمرارية الحياة ومعها سنة التطور لمصلحة الأنسان وتطور مجتمعه بعد هذا كله لا يمكنني أن أقول أني قد أستطعت أن أوفي للأمام علي (ع)التفسير والشرح الكافي لمقولته التي تحمل في ثناياها أرثا عظيما لفهم الترابط بين الزمان الفيزيائي والزمان الوضعي وبعباره أبسط حال المجتمع ، كما تعبر عن أهمية الأخذ بنظر الأعتبار التطور الأنساني في كل أبعاده ،وأهمية العلم والتراكم المعرفي .أ ن مقو لة (لا تقسروا اولادكم على أخلاقكم فأنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم)تلخص فلسفة في الحياة ومساراتها ولكنها تشكل جزء من فلسفة أشمل تقدم فيها رؤى للحكم العادل ، وسلوك الشخص السوي ،وتنبه إلى أهمية العلم وأستعمال العقل تنبذ عن المدعي والكسول تحدد أين الشجاع من الطيش والدفاع عن النفس من الأعتداء على الغير أنها سلسلة طويلة من نظرة فلسفية عميقةمتكاملة لكافة أمور الحياة بحثها الأنسان وما زال يبحث هذا ما تركه لنا الأمام علي عليه السلام ولكننا مقصرين فلا حكامنا ساروا على

نهجه ولا شارحيه قدموا للناس غذاء فكريا بدلا من مظاهر شكليه لا تقدم ولا تؤخر في حياة الأنسان وعيشه الكريم.

الإمام وأفكاره الفلسفيه في حقوق الأنسان

وعن الامام علي(ع) قال :

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري
وأصبر حتى يأذن الله في أمري
وأصبر حتى يعلم الصبر انني صابر
على شيء أمر من الصبر

ان للامام علي (ع) نظرياته التي سبقت العالم بمئات السنين في مجال حقوق الانسان وفي ترسيخ النظام الشوروي كهيكلية تقوم عليها المؤسسه الحاكمه . فمن خلال مواقف علي(ع) واقواله يلحظ المتتبع لتراثنا الاسلامي البون الشاسع ما بين نظرات الأمام القائمه على احترام الانسان والنظريات السائده حاليا.

حقوق الأنسان

القوة، وأن أحتوت على سلبيات وتناقضات كثيرة ، وممارسة عملية مميزة، على الرغم من محدوديتها ، فأنها تنفرد بكونها الماثلة للعيان والشاخصة في الأذهان دون غيرها .

ومن الناحية الأخرى فان هناك حالة من الأنهزامية واليأس داخل نفوس اكثر ابناء الامة الإسلامية ، وهم يعيشون يومياً ابشع انتهاك لأدميتهم في ظل حكومات استبدادية ومؤسسات اجتماعية واقتصادية تحطم انسانيتهم كلما

تحركوا لتغيير واقعهم المرير ، غير متناسين مجموعات من وعاظ السلاطين التي أرتدت ، من غير وجه حق ، طيلسان الدين وأضحت تصوغه على وفق رؤى اصحاب السلطة وبما يضفي في خضم ما تمر به الأمة الإسلامية في عالمنا المعاصر من تحديات جمة القت بظلالها القاتمة على وجود امتنا ومستقبلها تبرز قضية (حقوق الإنسان) ببعديها النظري والعملي كتحد مهم وصعب ينبغي الأستجابة له ، لاسيما مع محاولة تعميم النموذج الغربي المحصن بمنظومة فكرية تمتلك بعض عناصر شرعية زائفة على سياستها الخاطئة .

وهكذا فقد الأنسان المسلم حقوقه بين النص والواقع والقيم العالمية والسمة الخصوصية ، والأيمان بحقوق الانسان وادعاء الدفاع عن تلك الحقوق وافراغها من محتواها الحقيقي. وفي هذا اليم المتلاطم تلوح سفينة النجاة الاسلامية التي اغنت الانسانية بتجربة مميزة كان الامام علي بن ابي طالب(ع) من روادها ومن المساهمين الفاعلين في تثبيت دعائم الاسلام وتجربته في شتى نواحي الحياة ومنها حقوق الأنسان

حقوق الحيوان

قال علي بن ابي طالب عليه السلام :

أرفق بالبهائم ،ولا توقف عليها احمالها ، ولا تسقى بلجمها ، ولا تحمل فوق طاقتها .

شفافية الطباع

قال علي (ع):(اتقوا الله في عباده وبلاده، فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم).

قد يتخيل متخيل ان الحيوانات طبيعه واحده لا اختلاف فيما بينهما ...ولكن تختلف الحيوانات عن بعضها بتصرفاتها وقوة ذكائها .

وان لها اخلاقا وسلوكا ،وروي عن الامام الرضا (ع) انه قال :(في الديك الابيض خمس خصال من خصال الانبياء :معرفته باوقات الصلاة ،والغيره،والسخاء،والشجاعه،وكثرة الطروقه)

كما ان من اخلاق الغراب الطمع .

وقد ذكرت الروايات :ان بعض الحيوانات يكون ذا طبع شيطاني ،وبعضها الاخر بخلافه .

وقد ذكر اهل المعرفه بالخيل امورا كثيره من اخلاقها ، وتصرفاتها ومع غض النظر عن ذلك كله ، فان الروايات قد تحدثت عن ان للحيوانات التي كانت عند المعصومين عليهم السلام ادابا واخلاقا وتصرفات مميزه وفريده.

وان للبهائم درجات متفاوفة من حيث مستويات شعورها وادراكها غير ان هناك امورا تشترك فيها جميع الحيوانات .

فقد روي عن الامام الحسين بن علي (ع) انه قال :

ما بهمت البهائم منه ،فلم تبهم عن اربعه :معرفتها بالرب تبارك وتعالى ،ومعرفتها بالموت ،ومعرفتها بالانثى والذكر ،ومعرفتها بالمرعى الخصب .

وقد صرح القران الكريم بحشر الوحوش فقال (واذا الوحوش حشرت)

ثم ان علمها بموتها وان كان يستلزم وجود درجه من الشعور والادراك لديها ،ولكن يبقى محدودا ،وليس في مستوى ما لدى البشر من ذلك .

كما ان مما يشير إلى وجود درجه من الادراك لدى الحيوانات ،ما حكاه الله تعإلى عن الهدهد وعن النمله مع سليمان .

من خلال بحثنا هذا برفق الامام علي (ع) للحيوان وحقوقه نتيجة طاعات وعبادات الحيوانات ،حيث ان للحيوانات طاعاتها وعباداتها .

وقد تحدثت الايات والروايات عن تسبيح الطير ،والوحوش ،وحيوانات البحار.

قال سبحانه وتعإلى :

(وان من شيئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا)

قال الامام علي (ع):

(لا تضربوا الدواب على وجوهها ، فانها تسبح بحمد ربها)

وقال الامام الحسين (ع) :

(ما يصاد من الطير الا ماضيع التسبيح)

وقد ورد في النهي عن الغناء على الدابه ، عن ابي عبد الله (ع).

(اما يستحي احدكم ان يغني على دابته وهي تسبح)

ونهى عن ضرب وجوه الدواب لانها تسبح بحمد الله .

قانون الرفق بالحيوان (حقوق الحيوان في الاسلام)

لقد اوصت النصوص الشريفه الوارده عن المعصومين بما يلي :

١-الرفق بالبهائم

٢-ان لا توقف وعليها احمالها

٣-ان لا تسقى بلجامها

٤-ان لا تحمل فوق طاقتها

فقال علي بن ابي طالب (ع):

(ارفق بالبهائم ،ولا توقف عليها احمالها ،ولا تسقي بلجامها ،ولا تحمل فوق طاقتها)

هذه مسيرة ابا الحسين علي (ع)بحقوق الحيون ورفقه بها.

٥-ان لا تقف وعليها جهازها

٦-ان لا يقف على ظهورها

٧-ان لا يكلف الدابه من المشي ما لا تطيقه

٨-ان يكون اول ما يبدا به حين الوصول إلى المنزل هو ان يقدم الماء والعلف للدابه

٩- ان ينظف مرابضها

١٠-مسح رعام الغنم . أي ما يخرج من انوفها

١١-اماطة الاذى عنها

١٢-ان يسقى ذوات الارواح اذا عطشت، حتى لو كانت من الهوام ، وغير ماكول اللحم

١٣-ان لا يحبسها

١٤-ان لا تربط حتى تموت جوعا او عطشا

١٥- ان لا تقتل البهيمه عبثا

١٦- ان لا يتخذ احد شيئا فيه روح غرضا ، ليرميه بسهامه

١٧- ان لا تطرق الطيور ليلا امان لها

١٨-ان لا تؤخذ فراخ الطير من اوكارها حتى تنهض او حتى يريش ويطير فان الطير في ذمة الله ما لم يطير

١٩- ان لا تصبر البهائم

٢٠-وان لا يمثل بها

هذا علي بن ابي طالب عليه السلام،الامام العادل الذي جسد معاني الا نسانيةبكل امور الحياة الاجتماعيةورفقه بالحيوان خير دليل على افكاره الفلسفية بالحياة العامه.

الفصل الثالث

الاديان والأقليات

الوحدة الاسلامية

الامام علي (عليه السلام) ووحدة الامة

طبيعة الوحدة في نظر علي (عليه السلام)

الوحدة والاقليات

علي (عليه السلام) والاقليات السياسية

حرية أبداء الرأي

الاديان والاقليات

لقد اعتدنا على معالجة موقف علي بن ابي طالب (ع) من مواضيع ومعطيات اساسيه طرات على العالم السلامي من قبل وتطرا اليوم ،واعتدنا على معالجة مواقف غيره من مواضيع ومعطيات ،فهل تشكل تلك المعالجه دوما كشفا لموقف من امور محدده ام ان في الامر شيئا اخر ؟

ان كشف موقف شخصية اسلاميه من أي امر ،يؤدي إلى معرفه جزئيه ،تكون احد مصاديق الموقف الواقعي للمسلمين .اما كشف موقف علي عليه السلام فامر مختلف فعلي (ع) يتحلى بميزات اماط الرسول صلى الله عليه واله وسلم عنها اللثام ،فاذا هي العلم الاقصى والعداله القصوى ..وهي الايمان كله كما وصفه الرسول عند بروزه (لعمر بن ود) ومن هنا فان عليا يجسد الاسلام ،انه الاسلام من دم ولحم ، يمشي في الاسواق وياكل الطعام من هنا فان ما يتخذه علي عليه السلام ليس موقف فرد مهما علا شانه ،بل هو شيء اخر ، ولكنه ليس ناقصا ،اذ يقول تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء)الانعام ٣٨ .غير ان ماحواه الكتاب لابد له احيانا من ترجمان يكشفه ويطبقه في الواقع مستنبطا دقائقه مستنطقا غوامضه ،وهذا ما قام به علي (ع) في المجالات التي انكشفت في عصره .

ولما كان علي (ع) بالحجم الذي حدده الرسول صلى الله عليه واله وسلم فان ما كشفه يتجاوز ما يستطيع كشفه الاخرون لتميزه عنهم ولهذه عده بعض المسلمين سنة يجب اقتفاؤها ،فيما لا يجد الاخرون حرجا في هذا الاقتفاء ،واذا صح حديث (اصحابي كنجوم السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم)وايا يكن المحمل الذي نحمل عليه كلمة الاصحاب فلا بد ان يكون علي عليه السلام راس مصاديقها ،فيكون قدوة في كل حال وهكذا فان موقف علي (ع) في كل امر هو موقف الاسلام المنطلق من الايمان كله .

ولقد استجدت في عهد الامام امور عظيمه فكشف الموقف الاسلامي منها. فقد ابتلى علي (ع) بالاقليات التي لم تظهر على السطح في العهود السابقه ،وان تكن قد تكونت في رحم تلك العهود ،من جماعات اثرت ثراء فاحشا ،إلى جماعات ذاقت لذة التسلط ولذة المال ،إلى جماعات لم تعثر على من يفقهها في الدين بل غبت الاضاليل غبا ،إلى الطلقاء الذين اظهروا الايمان طيلة عقود،وكلها اطلت براسها ايام علي عليه السلام وبكل شراسه .فعمل علي (ع)من اجل الحفاظ على الوحده الاسلاميه من جهة وعدم تجاوز ما اباحه الشرع من حريه ،من جهة اخرى فحدد معنى الجماعه ومعنى الفرقه ،كما ابان حقوق الجماعات السياسيه وكشف القانون الانساني الاسلامي الضروري لحالات القتال بين اهل القبله ،اما بخصوص اتباع الاديان المسماة بالتوحيديه ، فكانت بقية احكام لم تتضح فيما سبق ،فتصدى علي عليه السلام لاعلانها .

الوحده الاسلامية

يأمر الاسلام باقامة الوحده بين المسلمين وبالحفاظ عليها لان رباط الاسلام يجب ان يكون امتن من كل رباط واقوى من كل نزعه للتفرقه مهما كان نوعها ، يشد المسلم إلى المسلم هو الايمان بالله الواحد الاحد وبرسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم التي اتى بها من عنده تعإلى ،فتكونت بذلك جماعة متحابه متاخيه كما يصفها تعإلى بقوله (انما المؤمنون اخوه) الحجرات ١٠. ومثلهم في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

وهذه ليست مجرد تجميع لافراد تشدهم أي عصبيه تتيسر بل هي وحده في

الله ملزمه باتباع صراطه اذ يقول تعإلى :واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)ال عمران ١٠٣.

ومن هنا كانت اللحمه هي الاستجابه للاحكام الالهيه ،حتى اذا ما تهددت تهدد حكم الله في الارض ووجب على المسلمين معالجة الموقف وتدارك الانقسام عملا بقوله تعإلى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما).

ولو اصرت فئة من المتخاصمين على الاعتداء وتجاوز حدودها لان الله في هذه الحاله يامر بالتصدي لها حتى تثوب إلى حكم الله .

(فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى امر الله).

وعندما تجب العوده إلى الاصلاح على اساس من الانصاف لا خلط الحق بالباطل .

(فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين).

وهكذا فان الاسلام لا يامر بالحفاظ على الوحده بعد قيامها باي طريقة تتسير بل هو يوجب التصدي للانحراف والعدوان . ولقد افاض الرسول صلى الله عليه واله وسلم في الدعوه إلى مقاومة هذه الظاهرات ولو بالقوه حفاظا على وحدة الامه .ان الله تعإلى يقول :((ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب)).الانفال ١٣.

الامام علي عليه السلام ووحدة الامة

عمل علي عليه السلام بكل ما اوتي للحفاظ على وحدة الامه الاسلاميه ،وقدم التنازلات على طريقها ،حتى اذا اصرت فئات على الشقاق قاتلها ليعيد إلى الامه وحدتها يرى الامام (ان سبحانه امتن على علي(ع) جماعه هذه

الامه فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفه التي ينتقلون في ظلها ويأوون إلى عزتها)لذلك وجب عليهم الحفاظ عليها .لان يد الله معها .

ثم انه حتى قبل الاضطرار إلى القتال وكلما لاحت بارقة امل اثناءه كان الامام يحاول الاستفاده من الهدنه ليعمل على اعادة اللحمه إلى الامه فهو لم يبدا خصما بقتال لا في البصره ولا في صفين ولا في النهروان وهو يقول في احد ردوده على الخوارج بشان الهدنه التي اعلنت للقيام بالتحكيم : لعل الله يصلح في هذه الهدنه امر هذه الامه غير ان الامام قاتل بعض الفئات الاسلاميه اولئك الذين اسماهم بالناكثين والقاسطين والمارقين.

ان وحدة الامه هي الوحده القائمه على الحق المحدد من لدن الله تعإلى وهي لا تقبل تعدي حدود الله .

والامام قاتل فئات تعدت حدود الله وحتى تحدتها ،من جهة ،وشقت عصا المسلمين من جهة اخرى وكان لابد من اجل عادة الحق إلى نصابه ومن اجل القضاء على عوامل التفسخ في الامه من ردع القائمين بالانشقاق ،خصوصا وان كل الاساليب السليمه لم تنفع في اعادة اللحمه .فقادة حرب الجمل بذل معهم الامام كل الجهود ليثنيهم .وكان اخرها ان طلب نقاشهم حتى على ارض المعركه ،ولكنهم اصروا على مواقفهم من النيه بقتاله بعد ان كانوا بايعوه ،فكانوا ناكثين للبيعه ناقضين للعهد .

كما ان الامام علي عليه السلام لم يكتف بمعالجة الشروح الداخليه في الامه الاسلاميه ،بل اتخذ الموقف المحافظ عليها في وجه الاخطار الخارجيه فقد بلغ من حرصه على وحدة المسلمين انه كان مستعدا للتنازل عن أي مطلب بل حتى للمهادنه أي خصم مسلم ،بل لايقاف أي حرب داخليه من اجل وحدة المسلمين .عندما دهم خطر القبائل المرتده عن الاسلام واخذت تهدد

وجود الدين الحنيف نفسه .

وهكذا فان الامام حافظ على الوحده الاسلاميه بمداراتها في عهود ما قبل خلافته وبمحاولة ثني الناوين على المشاقه بعد ولايته ثم قتال من عرضوا وحدة المسلمين للخطر .كل ذلك انفاذا لالتزام اتخذه على نفسه وعبر عنه في رساله إلى ابي موسى الاشعري الذي توجه ليشارك في التحكيم بقوله:وليس رجل فاعلهم احرص الناس على جماعة امة محمد .صلى الله عليه واله وسلم.

طبيعة الوحده في نظر علي عليه السلام

ان الوحده التي كان يسعى اليها الامام لم تكن وحده مفروضه بالقوه المصنفات الماديه ،بل وحدة انسانيه حركيه (ديناميكيه) مكونه من شخصيات انسانيه عاقله ،تتكون افكارها واراءها بحرية فتتناقش ويؤثر بعضها في بعض ويتاثر به وحدة لا تتناقص مع وجود التجمعات ذات الماديه او بالارهاب المعنوي ،وحدة انطباقيه من ذوات متشابهة الطابع الاجتماعي وحتى السياسي ،بل تتحمل الجميع ،من جهات اسلاميه او من اتباع الديانات الاخرى ،وتؤمن للجميع وسائل المعيشه او تحفظها ،وتجبر حتى المشركين وتسمح بوجودهم المؤقت في هذه الحاله بين ظهراني المسلمين رغم انهم في حالة حرب معهم .

الوحده والاقليات

لم تكن احكام الاسلام بخصوص الاقليات السياسيه قد اتضحت كفايه حتى عهد علي عليه السلام .فعهد الرسول عرف اهل الديانات الاخرى كالوثنيه واليهوديه والمسيحيه ،فنزلت احكام التعامل معهم وطبقها الرسول(ص).اما الاقليات داخل الجسم الاسلامي فلم تكن قائمه على اساس سياسي واضح ،بل على اسس قبليه او مناطقيه ،كالمهاجرين والانصار ،او كالاوس والخزرج .اما العهود التاليه فقد عرفت انقسامات ذات طابع سياسي وقبلي ،اذ كان في المعارضه في بداية عهدابي بكر بعض الانصار وبنو هاشم وبعض الاخرين .غير ان التعامل معهم لم يفصح عن قواعد يمكن اعتمادها لانها كانت تتسم بالطابع التكتيكي الظرفي .

اما عثمان الذي تالب عليه المسلمون والامصار فهاجموا المدينه ليزيحوه وانتهى الامر على هذه النحو إلى ان تولى علي عليه السلام الخلافه فتعامل مع الاقليات السياسيه كما الدينيه على اسس ثابته واضحه ودائمه ،بحيث يمكننا تحديدها واعتمادها كقواعد للتعامل مع هذه الاقليات .

علي عليه السلام والاقليات السياسيه

لقد عرف عهد علي عليه السلام عددا من الحركات السياسيه التي اتخذت اشكالا منظمه وخاضت معارك سياسيه ضد الامام وحكمه تمهيدا لخلعه بالقوه وقد تعامل معها الامام في كل الحالات بما تقضي به مبادىء الاسلام مستخرجا عددا من الاحكام السياسيه ومن اهم الاقليات التي تعامل معها (الخوارج).

التعامل مع الاقليات السياسية

رغم ان الاقليات لم تكن تنوى الاقتصار في مواجهتها للامام بالصراع السياسي بل كانت تضع منذ البدء نصب اعينها اللجوء إلى السلاح لتحقيق اهدافها فان الامام تعامل معها كما يجب التعامل مع جهات مسالمه لقد تمتعت الاقليات السياسيه المسلمه في عهد علي عليه السلام بكافة حقوق المسلمين وحريتهم دونما انتقاض وما دامت لم تستخدم السلاح ضد السلطه او ضد الناس من مثل حرية ابداء الراىء وحرية التجمع لا سيما المنظم وحق الملكيه وسائر الحقوق الاقتصاديه .

حرية ابداء الرأي

لم يتعرض علي عليه السلام لحرية ابداء الرأي رغم انها بلغت تكفيره ،ناهيك عن مطالبته بالتنحي فعلى الرغم من كون الخوارج مجموعات جيشيه خرجت عليه وهو في حالة الحرب ،فانه لم يتعرض لهم بقتال ماداموا لم يستخدموا السلاح وكان يقول:لا نهيجهم (الخوارج) ولا نبغيهم شرا مالم يحدثوا حدثا .او يفسدوا في الارض.ان سكتوا تركناهم وان تكلموا حاججناهم واذا فسدوا قاتلناهم .وكان يكرر قوله:((لا اقاتلهم حتى يقاتلوني)) فعلا ان الامام (ع) استمر يناقشهم ويرسل الرسل اليهم .وقد كلف غير رسول بلقائهم وناقشهم .فقد اوفد اليهم عبدالله بن عباس رافقه صعصعه بن صوجان وزياد بن النضر وطلب من ابن عباس الا يناقشهم بالقران فانه حمال وجوه فيقول ويقولون ،بل يناقشهم بالسنه ولكن دون جدوى.

الفصل الرابع

الايثار ومعاملة الخصوم
المساواة بين الخصوم
قسوة الطريق
ولادة التاريخ
الخوارج
انفاث السموم
اصحاب الغرور(طلحة والزبير)
ريشة في مهب الريح
طعنة لفجر الاسلام
الخصم معاوية
علي (عليه السلام)سلطة الحق
وقفة تأمل مع طلحة والزبير وعائشة

المساواة بين الخصوم

ذكر الفقهاءفي باب اداب القضاء ان على القاضي ان يسوي بين الخصوم في مجلس قضائه وذلك استنادا إلى ما روي عن الرسول (ص)انه قال :((من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليسوا بينهم في المجلس والاشاره والنظر ولا يرفع صوته على احد الخصمين) وقد استلهم الامام امير المؤمنين هذا المعنى وطبقه نظريا وعلميا واكده في وصيته .فالقاضي عليه ان يلتزم بمبدا المساواة بين الخصوم اثناء الترافع تحقيقا لمبدا العداله اذ لا تلقي العداله القضائيه حضورها بدونه فمن ضروراتها الموازنه بين الاطراف المتخاصمه بكل حياد وترو .

واذا كان الحياد لا يحتاج إلى توضيح اذ على القاضي ان لا يتحيز إلى أي طرف من اطراف الدعوى دون اخر انما عليه ان يناقش الادله والمدفوع والطلبات المقدمه اليه في مجلس قضائه بلا مواربه وصولا إلى الحقيقه لأحقاق الحق بعد كشفه ومن الشواهد المناسبه نذكر منها ما يروي ان عليا(ع) دخل مع خصمه الذمي إلى مجلس القاضي شريح فقام له اجلالا واكبارا بصفته خليفة المسلمين فبادره علي(ع) بالقول ياشريح (هذا اول جورك) ذلك لان القاضي شريح لم يساويه مع خصمه لان قيامه لعلي (ع) احتراما واكراما يعني عدم مساواته لخصمه الذمي الذي لم يوله أي اهتمام فتأمل.

فالمساواة بين الخصوم في المرافعه انطلاقا من مبدا العداله واحقاقا للحق شرط لازم في المنهج الاسلامي للقضاء بغية غرس الثقه بين المتخاصمين في كونهم امام قاض ملتزم بالحياد والحق وقد جسد الامام علي(ع) في الواقعه المذكوره حتى مع نفسه وفي رواية اخرى حصلت ايام الخليفه عمر اذ

خاصم ذمي لعلي(ع) ايضا وكان علي(ع) جالسا في مجلس عمر فالتفت اليه وقال له يا ابا الحسن قم فاجلس مع خصمك وقد لاحظ عمر تغييرا في وجه علي (ع) فساله مالي اراك متغيرا اكرهت ما كان ؟ فاجابه الامام : (كنيتني بحضرة خصمي هلا قلت :قم ياعلي فاجلس مع خصمك) فمخاطبته لعلي بكنيته بدلا عن اسمه دلاله على عدم تسويته مع خصمه الذي ناداه باسمه وتشير الروايه ان عمر عندما سمع ذلك الكلام من علي (ع) قام وقبله وقال له :(بابي انتم بكم هدانا الله وبكم اخرجنا من الظلمه إلى النور).

وهكذا كان منهج علي(ع) في المساواة حتى مع نفسه كما اسلفنا .وفي وصية الرسول لعلي(ع) من انه قال :((اذا جلس بين يديك خصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الاخر مثل ما سمعت منه فانك ان فعلت ذلك تبين لك القضاء) كما ورد عنه (ص) قوله الشريف (اذا اتاك احد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تحكم له فربما اتى خصمه وقد فقئت عيناه) فالتروي ضرورة كما ان الاستماع إلى اقوال الطرفين يجسد بعين الوقت مبدا المساواة اذ ليس من الصواب الاستماع إلى قول الخصم دون حضور غريمه .

قسوة الطريق

كان علي بن ابي طالب(ع) يتحدث كثيرا ،وبدقة الوصف ، وبقوة الايحاء ، وبسعة التعبير عن قسوة الطريق ،وكثرة مشاقه .

وتحمل كلمة الطريق دلاله فلسفيه عظمى مثلما تحمل معناها الكفاحي، فجميع المكافحين العظماء من الانبياء والاولياء والمجاهدين يقتطعون الطريق ،ذاهبين من قريه الانطلاق إلى دار الحق ، وفي سفرة الكفاح الدائب ،والبرهان الابدي على جدارة المعطيات الحقانيه .

ان الطريق إلى الحقيقه طويل ،شديد الطول ،ومعقد كثير التركيب .فالدنيا في عرف علي بن ابي طالب(ع) هي الطريق ،والحق هو الغايه.والدنيا هي دار الكفاح ،مثلما هي دار فناء.

وقد تكون رحلة الكفاح المضنية ،اجتياز الاماكن ،كما هي رحلة النفس في اجتياز مدرجاتها ،والصعود نحو الاعلى بتنقية النفس الدائميه من ضغط الشوائب .

كانت رحلة علي (ع) المبكره خطوة التاسيس القوي لعقيدة في الطور الاول للكفاح المرير .

وحينما دبرت قريش المؤامره في دار (الندوه) للقضاء على محمد (ص) اعدت له مجموعه من الاشقياء العتاة من عشائر مختلفه كي يضيع دم الرسول بين جميع العشائر فيصعب على بني هاشم أخذ الثأر.

وحين قرر رسول الله مغادرة مكه إلى يثرب كان لابد ان ينام علي(ع) على فراشه شخص اخر كي لا يثير ارتياب المتامرين المتربصين.

وكان –لابد–ان تتوفر في الشخص صفة اولى هي صفة الفدائي الذي لا ينتظر وهو على فراش الرسول غير القتل.

وتحت صفة (الفدائيه) تتدرج كل الصفات الاخرى : الشجاعه والوفاء والتضحيه واذا ما نجا الشخص الفدائي من القتل لسبب او لاخر فان المهمة التي حرص الرسول على تاديتها كانت تتطلب قدره شجاعه على المجابهة والتاديه .فثمة امانات كثيره ،لا بد من اعادتها إلى ذويها في مكه وشعابها القريبه ،فلم يقبل الرسول ،وهو مغادر فلا يعلم ما تؤول له الامور ،ان تبقى الامانات غير مردوده .

من هو الفدائي الذي تتساوى لديه الحياة والموت في وقفة الاختيار

الاسلامي؟ ومن هو الفدائي الذي ما نجا من ليلة القتل فانه لا يسرع في استغلال النجاة ،بل يتانى –في المواجهة – والمجابهة والتحدي ليؤدي الامانات إلى اهلها ؟

هو علي بن ابي طالب (ع) الذي احتوى في جنانه الفدائيه والثقه العاليه بالنفس .

فنام على فراش النبي ،ليحمي هروبه المقدس من شر العصابه المجرمه .

وحين لاح الفجر ، ابتدات معركة ثانيه ،وهي معركة ارجاع الامانات ، التي كانت مهمة كبيره ،لابدمن تاديتها واذا ما جاشت في اعماق علي (ع) مشاعر معينه ،فهي مشاعر الاشتياق إلى النبي .

ورغم تلك المشاعر ،ورغم اضطراب الجو بعوامل العداء والانتقام من قبل قريش ، استطاع علي (ع) انجاز واجبه بدقة وانتظام .وهو يجمع حرارة الاشتياق وسخونة المعركه إلى جانب برودة الانجاز المنتظم ،وتلك كانت خصلة مركزيه من خصاله المعروفه فهو –في القتال– لا يبعده الحماس والغضب عن انتباهه العقل ويقظته الهادئه .تلك الخصله التي اتصف بها علي بن ابي طالب(ع).

ولادة التاريخ

ان الليلة التي انسحب بها النبي من مكة إلى المدينة تاركا فيها فراشه لعلي بن ابي طالب(ع) في تخطيط انسحابه لم تكن ليلة الوداع سيعود إلى فراشه لينام فيه ولو ليلة واحدة نومة الابطال .

وستكون اول ليلة من عمر التاريخ على الارض ينام علي (ع)في فراش محمد (ص) ويطوي الليل الاسود ليشهد عليه مع الصباح اعظم ولاده لاعظم تاريخ .

لقد التوت إلى هذه الليلة كل النواصي .

بعد عشر سنوات تكون قد اجتازت الخط :مع انسلالها عن فراش في ارض مكة إلى انزوائها في غار جبل (ثور)إلى اعتصامها (بقباء)) (المربد)،إلى تحصنها بالمدينة المنورة التي شهدت تاسيس الركائز ،وتكون قد حققت كل هذه الدعائم التي تتثبت عليها عظمة التاريخ.

الخوارج

وهم فرقه من جيشه احتجت على قبوله بالتحكيم في حرب صفين بعد ان كانوا افرادها ممن ضغطوا عليه ليرضخ لخدعة رفع المصاحف على الرماح والقبول بتعيين الحكمين بينه وبين معاويه .

وقد كفرت هذه الفرقه عليا عليه السلام مما اضطر الامام إلى مواجهتها فقاتلته فهزمها في معركة النهروان ولكن لم يقضي عليها بشكل نهائي .

انفاث السموم

دعوني اسمي معركة الجمل بانفاث السموم .لشدة الجراح ،لانها اقسى المعارك الاهليه،التي شهدتها الجزيره .رغم انها انتهت بيوم واحد ولكن خلفت جرحا عميقا يأن منها التاريخ لحد اليوم المعركة التي زرعت بوادر الفتنه . المعركة التي حاولت ان تقسم صفوف المسلمين .المعركه التي نعتوها باقصر معركه في التاريخ ولكن امر المعارك واقساها.

راح ضحيتها اكثر من خمسة عشر الفا .اكبرعدد يمكن ان تستهلكه معركة في يوم واحد ...اي في اقل مدة يمكن ان تحسب بالثواني لاستيعاب كل هذه المجزره التي عدت بالالوف .

ولكن (معركة الجمل) تأبى ان تتلبس نعتا هزيلا كهذا النعت يحصرها في يوم واحد وهي لا تزال تفتش ،حتى اليوم ،عن كلمات اوسع واشمل تتمكن من ان تتلبسها لتبرز فيها مستكمله شروط وصفها وتحديدها .

وكيف تجد ذلك وهي معركه كانت تكمله لمعارك عديده سبقتها وهي لا تزال مستمره بعد اربعة عشر قرنا حتى اليوم ..دون ان تدري إلى متى سيستمر مفعولها التخريبي على طول الرقعه المسماة ب(دنيا الاسلام).

فهي نفسها اصبحت تجهل –تقريبا –تاريخ مولدها ،وتجهل ايضا الموعد الذي ستلفظ فيه انفاسها ..ولم يعد بامكانها ضبط العدد الكبير من ضحاياها ،لان العدد الذي سقط تحت خف الجمل ليس هو الا اصغر عدد امكنها ان تحصيه من حيث اختلط عليها احصاء الذين سقطوا من قبل وداخت عن احصاء الذين سقطوا من بعد ..وسوف تضيع عن احصاء الذين سيسقطون في المستقبل الحامل كل انفاث سمومها ولكنها تفخر كونها با لتاريخ ..لان ماسبقها قد اسقط من الحساب اذ غمرته الجاهليه بعدم المسؤوليه .

فهنيئا لمعركة الجمل تلقب نفسها (بأم المشاكل)!

أصحاب الغرور(طلحة والزبير)

ليست خطورة الحديث عن طلحه والزبير بالنسبه إلى شخصيتهما بقدر ما هي بالنسبه إلى الاثر السيئ الذي تمكنا من ترك اضلاله السوداء تخيم على طول الجزيره وعرضها .

لان هذين الرجلين اللذين نفخت اواصرهما رقة الرسول لم يتمكنا من ان يكتسبا من الرساله اكثر مما يقدر الطاووس على اكتسابه من راسه الصغير المرتفع وذيله الطويل المنتفش !

ولقد بقيا كذلك يحملان بداوة الجاهليه تحت زركشة ريش موهوم ،

لتغرر بهما في كل سانحة ..بداوة تشهد بهما إلى الوراء ،وارستقراطية ترفع انفيهما إلى فوق وبثوبين باليين تمكنا من ثقب الجدار ليدخلا منه إلى الحصن ،حيث جلسا ،وبقيا جالسين ،حتى (وقعة الجمل).

وقد ترافقا كل عمرهما متساندين متنابذين كما يترافقان ذئبان إلى طريده ..فاما الطريده واما الرفيق يسقط ،فيكون الطريده !.

وهكذا كان يمني كل واحد منهما نفسه بالخلافه .. ،اكان يحمل لها العده اللازمه ام لا يحمل ..كأن قريشة كل واحد منهما يتحمل الاعباء تكفي !

ولم يزل هذا من نوالهما حتى استانس كل واحد منهما بنقطة الضعف عند عثمان بن عفان فاسلما نفسيهما إلى المحاوله .

ولكن الثوره التي رميا إلى نارها بعض الوقود ،لم تكن لتضع نصب عينيها شخصيتين من هذا العيار .

وسريعا ما انفتلت تلج على فتاها الاصيل لتطرح بين يديه زمامها ..وكالافعى الجريح تتقلب على جرحها تعضه ربما يبرأ،انقلبا على جرحيهما يعضانه في مكه ،حيث تمكنا من التغرير(بأم المؤمنين) فهبت تلف

ساعديهما !

ومن وراء الافق حيث تنام الشام على قلق جاءتهما شعره معاويه تتلاين في ملمسها لتزنر الباقه المجمعه بامل المبايعه والوصول باحدهما إلى خدر الخلافه ولتنفخ فيهما بطوله معكوسه .

((ويخلق الله لكم ما لا تعلمون)).

ونجحت الرده الجديده يقودها الجمل (عسكر)..وسارت تغرر بالوف المسلمين حتى هبطت البصره ..وفي يوم واحد لاقت حتفها!

ريشة في مهب الريح

غدر ونفاق ،الم وحسره ،نكران للجميل ،خروج عن مبادئ الاسلام ،كانوا هم الخوارج ،طائفة خرجت عن الدين الاسلامي ،خرجت عن المبادئ الساميه التي تحلى بها علي بن ابي طالب عليه السلام ،حملت راية العداء ،وكشرت عن انيابها ،حملت الحقد الدفين ،ونشرت سمومها القاتله ،واحدثت ثغرة كبيره بين المسلمين ،تركت الحق وسارت مع الباطل ،مشت بعصابة باطلة تحمل المكر والشر من اجل الوصول إلى غاياتها .

اختلف العلماء في تعريفهم للخوارج ..

الشهرستاني:(الخوارج كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت عليه الجماعه يسمى خارجي).

الاشعري (سموا بالخوارج لخروجهم عن علي بن ابي طالب عليه السلام)

خرجت الخوارج كفرقة في عهد علي بن ابي طالب عليه السلام .خرجت عن جيشه وحاربته في معركة النهروان .

وقال عنهم رسول الله محمد(ص): (سيخرج قوم في اخر الزمان ،احداث

الاسنان سفهاء الاحلام ،يقولون من خير قول البريه ،لا يجاوز ايمانهم حناجرهم ،يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه ،فاينما لقيتموهم فاقتلوهم ،فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم يوم القيامه) البخاري .

طعنة لفجر الاسلام

انها معركة النهروان ،اذا كان من حق الثعلب ان يفتخر بدهائه ،فاي دخل لذنبه بهذا الافتخار؟!

ولكن الذيل يدعي :ان الراس الذي يحتاك بالحيل لم يذهب مرة واحدة في مغامراته دون ان يصطحبه لذلك ...فهو رفيقه في كل خطوه حققت له فن الرواغ .

اذا كان كذلك فلمعركة (النهروان)هذا الحق بالادعاء ..فهي ذيل لمعركة صفين دون جدال .

ولكن وان تكن قد انيترت بضربة واحده ،فانها لم تمر دون ان تتبعثر من حواليها علامات التعجب والتفجع ،فوق ماتركت من ذيول لا تزال تتجرر حتى اليوم ،منطويه على فلسفات يشتق بعضها من بعض كما تشتق السفسطات من المماحكات .

غير ان الخوارج في كل ما تشعبوا اليه ،من الازارقه ،إلى النجدات إلى الاباظيه إلى الصفوريه ..إلى كل فرقهم التي بلغت العشرين ،في غلوهم او في اعتدالهم ؟،في ديمقراطيتهم او في ارستقراطيتهم ..فانهم لا يستحقون شيئا من الشفقه لانهم اخطاؤا بالحق .

ان معركة صفين تتذيل بمعركة النهروان ..ويكفيها بؤسا كونها فوق ما فسخت العالم الاسلامي في فجر وحدته وباكورة امجاده ،تسببت في حقن

صدر ذلك الخارجي بسموم الحقد ،فشرب سيفه به ،واقدم على قتل اعظم رجل عرفه تاريخ العرب بعد النبي .

الخصم معاوية

معاوية الخصم لعلي
انه أفطس من دون ذكاء
قزم الخيال
لا جانح ولا أفق ولا شعاع
ياكفا لها اظافر ،وليس لها انامل
يا وجها منسولا من جلود الافاعي
من مجادل الافك
من مراشح الخداع والرياء
لاماء ،لا حياء ،ولا لون لمكرمة
ياوليد الحقد والكره والحسد !
ياوليد الجهل والاعياء !
يانكير !يابؤرة من نتن !!!
ياغفلة القلب عن منابض الحب !
ياسهوة العقل عن مسارح الخير !
ياتلهي الفهم عن نيل المكارم!
يا انكفاء الخيال من فوق المشارب !
من بين هذه الغفلات تكون لك الولاده
ياخيال الشؤم والمنكر !

ياعدو الخير والمعروف !

يامنشارا اسود على مفارق الدروب!

ياجرذا يعيش في السراديب

لماذا تشد رحالك لعداء علي ؟

تعاد عليا

علي المرتضى

وفحل الفحول

علي من شهدت له جميع الانسانية

علي الفكر والعدالة والشجاعة

علي من تفرد بولادته

علي من تباركت الكعبه بولادته

وتبارك بجدارها

علي (ع) سلطة الحق

كانت الدوله الاسلاميه الناشئه على شفا الخطر في أبان الفتنه الداخليه بين علي ومعاويه ..ولكنها وقيت منه لان عوامل الامان الذي يحيط بها كانت اقوى من عوامل الخطر الذي يهددها .. وتتلخص عوامل الامان في وقاعين اثنين:

احدهما ،ان الاسلام كان دعوه طبيعيه تلقاها العالم وهو مستعد لها مستريح اليها ، فرسخت دعائمه وامتنعت حدوده بعد اعوام قليله من ظهوره ، وسكن اليه الناس مؤمنين بدوام ظنه وشمول عدله ،سواء منهم من دخل فيه ومن أوى إلى حكمه وهو باق على اعتقاده ..

وثانيهما ،ان اعداء الاسلام كانوا في شاغل عنه بما اصابهم من الوهن واحدق بهم من المخاوف ،وربما صح في الفتنه الاسلاميه يومئذ ما يصح في كثير من الطوارق التأريخيه الكبرى ، وهي انها لن تكون شرا محضا في جميع عواقبها ولاتخلو من الخير على غير قصد من ذويها .. فان هذه الفتنه قد اغرت اعداء الاسلام بالانتظار واوقعت في روعهم انهم غنيون عن التحفز والوثوب الذي يشق عليهم جهده وهم في تلك الحاله من الجهد والاعياء ..

فقنعت دوله الروم بهجمات ضعيفه تلقاها بالجلد والاناة ،والهى القوم عنه ببعض الاتاوات والنوافل .. فتراجعوا متربصين إلى ان يقضي الخلاف بين المسلمين قضاءه وهم وادعون مكفيون شر القتال .. فكان هذا الانتظار الخادع جانبا من جوانب الخير في الفتنه الاسلاميه التي فاضت يومئذ بالشرور .

وعلى هذا انقضت ايام علي (ع) وليس للحكومه الاسلاميه سياسه خارجيه تحسب من سياسه الفتوح او سياسة الدفاع او سياسه المفاوضه والاستطلاع.

وكل مايدور الكلام عليه عن حكومة علي (ع) فهو من قبيل سياسة الحكم بينه وبين رعاياه او هوالسياسة الداخليه كما نسميها في العصر الحديث..

ومن اليسر ان نعرف سياسة الامام بينه وبين رعاياه بغير حاجة الاطاله في التعريف وسرد الامثال ..

لانها سياسة الرجل الذي شاءالقدر ان يجعله فدية للخلافه الدينيه في نضالها الاخير مع الدوله الدنيويه .

فنحن نتخذ ماشئنا من طريقين متقابلين ، فاذا طريق علي (ع) هي طريق الخلافه المنزهه حين تقابل الدوله الدنيويه مقابله الخصم للخصم او النقيض للنقيض لو هي اقرب الطريقين إلى المساواة وادناهما إلى رعايه الضعفاء ..

فالناس في الحقوق سواء..

لامحاباة لقوي ولا اجحاف بضعيف وقد عمد إلى القطائع التي وزعت قبله على المقربين والرؤساء فانتزعهما من القابضين عليها وردها إلى مال المسلمين لتوزيعها بين من يستحقونها على سنة المساواة وقال:(والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته ، فان في العدل سعه .. ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق).

وفرض الرفق بالرعيه على كل وال ، فلا ارهاق ولا استغلال ولو كانت الحكومه هي صاحبة الحق في المال .

فمن وصاياه المكرره لولاته : ((انصفو الناس من انفسكم واصبروا لحوائجكم فانهم خزان الرعيه .. ولا تحسموا احدا عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولاصيف ولادابة يعتملون عليها ولا عبدا ولاتضربن احدا سوطا لمكان درهم)).

ومن وصاياه في تحصيل الخراج والصدقات :((..امض اليهم بالسكينه والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ولاتخدج بالتحية لهم ثم تقول :عباد الله .ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لاخذ منكم حق الله في اموالكم فهل لله في اموالكم حق فتؤدوه إلى وليه ؟.. فان قال قائل : لا ، فلا تراجعه .. وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه وتتوعده او تسعفه او ترهقه ،فخذ ما اعطاك من ذهب او فضه ،فان كان له ماشيه او ابل فلا تدخلها الا باذنه ،فان اكثر له ..

فاذا اتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولاعنيف به ..ولاتنفر بهيمة ولا تفزعها ، واصدع المال صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ، فلا تزال كذللك حتى يبقى ما فيه وفاء حق الله في ماله ..

فاقبض حق الله منه ، فان استقالك فاقله ..)).

وكان دستوره في تحصيل الضرائب المفروضه على الناس ،ان النظر في عمارة الارض ابلغ من النظر في استجلاب الضريبة ، فكان يكتب إلى وليه ((تفقد امر الخراج بما يصلح اهله .. فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سولهم الا بهم .. لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله ، وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لان ذلك لايدرك الا بالعماره ومن جلب الخراج بغير عماره اخرب البلاد واهلك العباد ، ولم يستقم امره الا قليلا ، وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها اسراف الولاة على الجميع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ..))

اما دستوره في الولاة والعمال ، فخلاصته كما كتب به إلى الاشتر النخعي يقول له:((انظر في امور عمالك ، فاستعملهم اختبارا ولاتولهم محاباه واثره.. فانهم جماع من شعب الجور والخيانه ، وتوخ منهم اهل التجربه والحياء من اهل البيوتات الصالحه والقدم في الاسلام فانهم اكثر اخلاقا واصح اعراضا واقل في المطامع اسرافا وابلغ في عواقب الامور نظرا .. ثم اسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ماتحت ايديهم العيون من اهل الصدق والعيون عليهم .. فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانه والرفق بالرعيه)).

وعلى هذه العنايه باستطلاع احوال الولاة والعمال كان ينهى اشد النهي عن كشف معائب الناس او كما كان يقول في وصية ولاته :((وليكن ابعد رعيتك منك واشناهم عندك اطلبهم لمعائب الناس .. فان في الناس عيوبا ، الوالي احق من سترها .. فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير

ماظهر لك)).

وكان ينهى عن بطانة السوء مع حثه على اتخاذ العيون والجواسيس فقال في وصيته لمحمد بن ابي بكر :((لاتدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولاجبانا يضعفك عن الامور ولاحريصا يزين لك الشر بالجور.

فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله ..ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الاثام فلا يكون تلك بطانة فانهم اعوان الائمه واخوان الظلمه وانت واجح منهم خير الخلف ممن ارائهم ونفاذهم .. وليس عليه مثل اصارهم واوزارهم)).

ولم ينكر قط شيئا من سياسة التوليه ، ثم صنع مثله في عهده على كثرة الاغراء حوله باصطناع التقيه والمداراة والهواده قليلا مع القرباء وذوي الاخطار ..

ومن زعم غير ذلك من ناقديه في عصره او بعد عصره فانما هو اخذ في المقارنه بالاشكال والحروف دون البواطن والغايات ..

اذ كان مما قيل مثلا ان عليا (ع)اقام عبد الله بن عباس على البصره وعبيد الله بن العباس على اليمن ، ومحمد بن ابي بكر ابن زوجة على مصر .. وهم اقرباؤه وخاصة اهله ، فهو اذن يصنع مانكره على حكومة عثمان من ايثار الاقرباء بالولايات واقصاء الاخرين عنها..

ولكنها كما قلنا مقارنة بالاشكال والحروف دون البواطن والغايات لان المقارنه الصحيحه بين العملين تسفر عن فراق بعيد كالفارق بين النقيض والنقيض ..

فبنو هاشم لم يكن لهم متسع لعمل او ولاية في غير حكومة الامام ولم يكن للامام معتمد على غيرهم بعد ان حاربته قريش وشاعت الفرقه والشغب بين

اعوانه من ابناء الامصار ..

وهم مع هذا لم يؤثروا بالولايات كلها ولم يؤثروا بالذي خصهم منها ليستغلوا ويجمعوا الثراء من غنائمه وارزاقه .. بل كانو يحاسبون على مافيا يديهم اعسر حساب وكانوا لتضييقه في المراقبه يتركون ولاياتهم ويستقيلون منها كما فعل ابن عباس حين هجر البصره إلى مكه ..

وقد بلغ من حسابه انه كان يحاسبهم على حضور الولائم التي لايجمل بهم حضورها .. فكتب إلى عثمان بن حنيف الانصاري عامله على البصره :((اما بعد ياحنيف ، فقد بلغني ان رجلا من فتية اهل البصره دعاك إلى مادبه ..فاسرعت اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان .. وما ظننت انك تجيب الطعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو ، فانظر إلى ماتقضمه من هذا المقضم .. فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه)).

واستكثر على شريح قاضيه ان بني دارا بثمانين دينارا ،وهو يرزق خمسمائة درهم .. وحاسب على اقل من هذا من هو اقل من شريح امانه في القضاء وحرجا في الدين..

فلو ان الامام اختص اقرباءه بالولايات التي يحاسبون عليها هذا الحساب لما كان في اختصاصه اياهم مستبيح حق ولا مستبيح مال ..فكيف هو لا يختصهم الا بالقليل منها ، ولا يختصهم وله مندوحه عنهم او يختصهم وهم دون غيرهم في القدره والامانه ؟

فالمقارنه هنا مقارنه اشكال وحروف ، وكل ماتوحي إلى الناقد بها انه يذكر الاقرباء هنا والاقرباء هناك ..

وقد انقسمت طريق الخلافه وطريق الدوله الدنيويه في كل امر من الامور على عهد الامام ولم تنقسم في امر الولاة او مساله الاستغلال وكفى .

واكبر مايذكر من انقسام الطريقين في عهده قيام الفكره العالميه إلى جانب العصبيه بالقبليه هو بالوحده الوطنيه..

فالدوله الدنيويه تشد ازرها بالعصبيه الجنسيه والخلافه الدينيه تشد ازرها بالاخاء بين الشعوب وبطلان الفوارق بين الاجناس ..

وقد كانت القبيله من انصار الامام تقاتل القبيله من انصار معاويه في سبيل الراي والعقيده ..

وكان انصار الامام ابدا من الفرس والمغاربه والمصريين اكثر من انصاره بين قريش خاصه ، وبين بني هاشم على الاخص وبين قبائل العرب على التعميم..

وهذا الامتزاج بين الفكره العالميه وبين امامة علي (ع)او خلافته ، هو اقطع الادله على الوحده.. فاذا ذهب هذا وجب ان يذهب ذاك ايا كانت السياسه المتوخاة ،وبالغا ما بلغ نصيبها من السداد والصواب ..

ولنا ان نعمم هذا الحكم الانساني في كل شان من شؤون الحكومه قضى به علي (ع)في عهده او عهود الخلفاء من قبله..

فالروح الانسانيه هو قوام الحكومه الاماميه ،كما ينبغي ان يكون ، وهو قوامها كما كانت على يديه جهد الطاقه الادميه .. وهي طاقه لها مالها من حدود..

جئ إلى عمر بن الخطاب بأمراه زانيه يشتبه في حملها فاستفتى الامام .. فافتى بوجوب الابقاء عليها حتى تضع جنينها وقال له :(ان كان لك سلطان عليه فلا سلطان لك على مافي بطنها).

وانتزع امراه من ايدي الموكلين باقامة الحد عليها .. وساله عمر فقال :((اما سمعت النبي يقول :رفع القلم عن ثلاثه :عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المبتلى حتى يعقل؟)) قال :((بلى)) قال:((فهذه

مبتلاة بني فلان..فلعله اتاها وهو بها)) قال عمر :((لاادري)) قال:((وانا لاادري)) فترك رجمها للشك في عقلها ..

وهذه امثله قليله من امثله كثيره في القصاص وتفسير الشريعه ..

الا انه قد حاد عن هذه السنه في امر واحد خالفه فيه بعض فقهاء عصره ومنهم ابن عمه عبد الله بن عباس .

وذلك هو احراقه الروافض الذين عبدوه ووصفوه بصفات الالهه، وابو ان يتوبوا عن ضلالتهم مره بعد مره وقيل :((انهم اصروا على عنادهم وهم يحرقون ..فاتخذوا من تعذيبه لهم بالنار دليلا على انه هو الاله المعبود .. اذ لا يعذب بالنار الا الله .

فهؤلاء المفسدون المفتونون ، قد استحقوا عقوبه الموت بقضاء الشريعه وقضاء الدوله التي لايقوم لها نظام على هذه الضلاله .. ولكن الاحراق بالنار صرامه لاتوجبها ضرورة العقاب وليس في اجتنابها خطر على الشريعه ولا النظام انما شفيع الامام في هذه الصرامه انه كان هو المستهدف لتلك الضلاله وهو مظنة الريبة في الهوادة فيها ...فهو ينزه عدله عن كل ظن حيث تظن بالهوادة جميع الظنون ،وقد احرق الذين الهوه ..ونهى عن قتال الخوارج الذين حكموا بكفره ، الا ان يفسدوا في الارض او يبدؤوا بالعداوة على بريء.وفي هذا الانصاف بين مؤلهيه ومكفريه من تلك الصرامه في العقاب .

وكان الامام يذكر ابدا في حكومته ان الحقوق العامه لها شان لاينسى مع حقوق الافراد ..

ومن ذلك مانقله الطبري عن بعض الاسانيد ،حيث قال:((رايت عليا عليه السلام خارجا من همدان ،فراى فتيين يقتتلان ففرق بينهما ..ثم مضى فسمع صوتا :ياغوثا بالله فخرج يحضر نحوه حتى سمعت خفق نعله ،وهو

يقول:((اتاك الغوث)) فاذا رجل يلازم رجلا ، فقال :(يا امير المؤمنين.. بعت هذا ثوبا بتسعه دراهم وشرطت عليه ان لايعطيني مغموزا ولا مقطوعا فاتيته بهذه الدراهم ليبدلها لي فابى فلزمته فلطمني) فقال :(ابدله) ثم قال :(بينتك على اللطمه) فاتاه بالبينه .. قال :(دونك فاقتص) قال:(انما اردت ان احتاط في حقك).. ثم ضرب الرجل تسع درات ،وقال :(هذا حق السلطان).

وكان يكرر هذا الحكم في كل ماشابهه من امثال هذا العدوان ، وهو اشبه المذاهب بمذهب الحكومات العصريه في القصاص .

ويقال الكثير عن مناهج الامام في الحكومه وسياسة الرعيه مما يغني في هذا الاجمال عن التوسع في التفصيل ..

ولكن الذي لاينسى في سياق الكلام عن الامامه والدعوه العالميه انه عليه السلام كان اول من خرج بالعاصمه من المدينه إلى ارض غير ارض الحجاز ، وهو الحجازي سليل الحجازيين ..

وقد اختار الكوفه ،فكانت اوفق عاصمه للامامه العالميه في تلك المرحله من مراحل الدوله الاسلاميه ..

لانها كانت ملتقى الشعوب من جميع الاجناس ، وكانت مثابة التجاره بين الهند وفارس واليمن والعراق والشام ، وكانت العاصمه الثقافيه التي ترعرعت فيها مدارس الكتابه واللغه والقراءات والانساب والافانين الشعريه والروايات .. فهي اليق العواصم في ذلك العصر بحكومة امام ، وما زالت الامامه لاحقه بعلي (ع) ومحيطه به حيث تحول وحيث اقام ..

وقفة تامل مع طلحة والزبير وعائشة

مهلا وتعجب من انامل الزمن ،انه العجب العجاب ليوم الجمل،اليوم الحالك في تاريخ الزمن ،الجراح التي لا تندمل ،والنزيف الذي لا يتوقف ،كيف لا ؟ وترى وردت اسماء واسماء على صفحات التاريخ،وردت بكل ما فيها من نبل وعفة ووردت بكل ما فيها من رعونة وجبن ،ايه يا ام المؤمنين!!!.

لو كشف للانسان عن سريرة الانسان ،لراى منها مايرى الاعمى من غرائب وعجائب حين تدركه رحمة الله بعد طول محنته ،فيرتد بصيرا .

تترای لك السريرة في ظاهرها كانها اديم السماء،او صفحة الماء ،فان بدا لكان تكتنه باطنها ،فانك غير بالغ من ذلك مارب الا اذا استطعت ان تخترق جلدة السماء ،فترى ما وراءها من بديع الكائنات في اعماق الماء ،فتشاهد ما في باطنه من عجائب المخلوقات .

سريرة كان يظن المسلمون بها صافية نقيه ايام الرسول محمد (ص) لعائشة وطلحة والزبير ولكن فسدت الرؤيا وظهر النقيض برحيل محمد (ص).

يعجز المرء عن رؤية الهباء ،فيتريث ريثما تمج الشمس لعابها من نافذته فاذا هو مائج وضاء يروح ويغدو رواح السانحات ،وغدو البارحات ، ويعجز عن رؤية المكنون فيستعين عليها بمنظار يجسمها له ويدنيها منه حتى ليكاد يلمسها بيمينه ،ويعجز عن اكتناه السريرة ،فلا يجد إلى الوصول سبيلا.

والسريرة كنز مرصود لاتنجع فيه التفثات ،ولا تجدي معه العزائم والرقي .

وهذا ماكان يخفى من سريرة الشخوص قبل واقعة الجمل .انك لترى الرجل يتلالا جبينه تلالؤ الكواكب في جنح ليل مبرد ،ويفتر ثغره عن الانوار افترار الاكمام عن الازهار ،فتحسده على نعمته وسعادته ،وتتمنى ان لو منحك الله

ما منحه من هناء ورغد ،وان جبينه – لو علمت – هما يعتلج ،وقلبا يدب فيه الياس دبيب الاجال في الاعمار وكبدا مقروجة لو عرضها في سوق الهموم والاحزان ،ما وجد من يبتاعها بابخس الاثمان .

طلحة الصديق المخلص لعلي (ع)،اعجبك منه الحديث الحلو ،وثغره المبتسم ،ويروقك منه كلفه بك واعظامه لك واعجابه بشمائلك ومحاسنك ،وتشيعه لارائك ،ولو كشف لك من نفسه ما كشف له منها ،لوددت ان لو تيسر لك ا ن تبتاع اقدام السليك بجميع ماتملك من يدك ،ففررت من وجهه فرارك من وجهه الاسود الساخل وودت بجذع الانف ان لا يصافح وجهه وجهك من بعدها .

لولا ما اسدل الله على السرائر من الحجب لبدلت الارض غير الارض ،وكان للكون غير هذا النظام وللتاريخ صفحات غير هذه الصفحات .

ايه يا ام المؤمنين اتباع الاخره بنفحة عطر لامارة طلحة في الحكم بدل علي المرتضى لانه (ابن عمك)وينشق التاريخ الاسلامي بقيادتك معركة الجمل الخاسره وتزحف الجيوش من المدينة للبصره الحالمه بالامل وتسكب الدماء ويطرح على الارض مئات الضحايا لمعركة خاسره من اجل الكرسي والاماره.

ويقف علي (ع)باكيا امام مصرع طلحة وفاء لايام عهده بالنبل والوفاء.

ويصافح الزبير مكرمة لايام الصفاء والنقاء .وترين بام عينك ذلك يا ام المؤمنين .

من هنا تنساق عليك ابواب المأخذ !!!.

اذ ان التدخل السافر في قيادة معركة كانت من اقسى المعارك الاهلية التي شهدتها الجزيرة ،لم يكن يجعلك في موقف الام المتالمه من مشاهدة ابنائها يتزاحمون إلى موارد الموت .

لا !...بل ان عكس ذلك كان ...

لو علم الجند انهم لا يحاربون الا ليضعوا (نيشانا)في صدر القائد ،او جوهرة في تاج الملك ،وانهم كثيرا ما يكونون مخدوعين في مواقفهم باشراك الوطنية وحبائل الدين ،لما دالت الدول ،ولا انتقلت التيجان ،ولضعف ظهر الارض عن حمل ما فوقه من بني الانسان .

ولو علم اولئك الزاحفون من المدينة إلى البصرة لقتال علي ما هم الا مخدوعين بتلك الخطب الرنانه المرصونة من ام المؤمنين لقتال علي عليه السلام وها هي زوج الرسول فكيف لا تطاع ؟

وها هما سيدا ن من سادة قريش (طلحة والزبير) يسيرا ن مسيرة الاعمى تقودهما نحو المجهول بدون ادراك وروية ولا يعلما ان المعركة ستكون خالده إلى يومنا هذا رغم انها كانت ليوم واحد ولكن فجوة الخلاف بين طائفتي المسلمين بقيت خالده تلهب نارها وتشق جمراتها صفوف المسلمين لانها معركة الاهلية الدامية .

ويا حبذا !لو سجل التاريخ على صفحاته وردا خالصا لنقاوة عشرتك من سيد الكائنات الرسول الاكرم ولكن لماذا لماذا لماذا؟؟؟

الفصل الخامس

الحرص على المال العام

علي (عليه السلام) عطر العدل ونفحاته الشجية

السياسة المالية وضرورة اقتداء الولاة والعمال

الاخلاق الاجتماعية

علي..عطر العدل ونفحاته الشجيه

العدل : ما احلى هذا الاسم عند النفوس المظلومه ،وما احبه إلى المظطهدين وما ابغضه عند الظالمين الذين يزاحم العدل منافعهم ، وارباحهم.

هذه الكلمه التي تتلهف اليها النفوس وعليها اساس الملك وبها نظام الاجتماع واعتداله ، وانني اعتقد ان اصعب قانون يمكن تطبيقه وتنفيذه في المجتمع هو قانون العداله !! لا صطدام هذا القانون بنزعات الاقوياء الذين لو كانت العداله موجوده لما كانوا اقوياء ، وهؤلاء في طليعة المكافحين لهذه القضيه ،والتاريخ والحس والوجدان شواهد على هذا ، ولا اراني بحاجه إلى دليل .

ومن لوازم تطبيق العداله وتنفيذها قوة الايمان بالله تعالى والتقوى اولا، وحزم وعزم فوق كل عاطفه واتجاه ومصانعه ثانيا وعدم الخوف من المشاكل المتوقعه ، المحتمل وقوعها ثالثا .

وقد توفرت هذه المؤهلات كلها في نفسية الامام علي (ع)فهو الايمان كله والتقوى المتجسده ، وهو اقوى رجل يستطيع السيطره على اعصابه وعواطفه وهو الذي لا تاخذه في الله لومة لائم ؟، وهو الحق المحض الذي لا يشوبه شيء ، ونستطيع ان نقول : ان تطبع نفسية الامام على العداله والتزامه بها بالغا ما بلغ هو السبب الوحيد الذي فرق عنه ذوي الاطماع والاغراض ،واخاف ذوي المناصب والكنوز التي كانت عصارة دماء المسلمين ،وهدد الفسقه الفجره الذين استوجبوا اقامة الحدود الالهيه وقطع امال المستغلين واماني حواشي السلاطين ، وغير ذلك من الامور التي تدرك ولا توصف ، فاجتمعت هذه العوامل . واججت نيران الحروب الداخليه ضد الامام علي(ع).اذ لولا عدالة علي (ع) لما ذهب اخوه عقيل إلى معاويه ولولا

عدل علي(ع) لما انظم طلحة والزبير إلى عائشه للمساهمه في تكوين حرب الجمل .

لو كان علي (ع)، ظالما لما مهل معاويه يتصرف في مقدرات المسلمين وما كانت حرب صفين .

وهكذا وهلم جرا ، فان كانت العداله نغصت على علي (ع) عيشته وسلبته الراحه والاطمئنان ، وجرت عليه النوائب فان التاريخ الصحيح عرف لعلي(ع) هذه الفضيله وشكره عليها ، وان كان بعض الشواذ يعتبرون العداله منافيه للسياسه ، ويرون الارجح تقديم السياسه على الدين عند التعارض ، فان عليا(ع) يضرب بالسياسه التي تزاحم دين علي(ع) – عرض الجدار ويتبرا منها .

وهو التلميذ الاول للرسول والمعلم الثاني للامم عبر التاريخ ، ولو كان يمشي وراء السياسه لعرفه التاريخ رجلا سياسيا فحسب ، وما كانت الملوك والعظماء يطاطئون هاماتهم امام عظمته ، وينظرون اليه بكل تقدير وتقديس .

نذكر نماذج من تلك العداله المعطره التي تحلى بها ابا الحسن (ع).

بنى الامام علي موضعا تحبس فيه الابل والا غنام الضاله يقال له (المربد) فكان يعلفها علفا لا يسمنها ولا يهزلها من بيت المال . فلمن اقام عليها بينه اخذها ، والا اقرها على حالها . وتظهر الحكمه في تحديد كمية علف الحيوانات ، وهي رعاية الحيوان والمحافظه عليه ورعاية بيت المال والاهتمام به .

في الكافي عن الامام الصادق (ع) انه قال : بعث امير المؤمنين مصدقا من الكوفه (المصدق : عامل الزكاة التي يستوفيها) إلى باديتها وقال : يا عبد الله : انطلق ، وعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ولا تؤثرن دنياك على

اخرتك ، وكن حافظا لما ائتمنك عليه مراعيا لحق الله فيه حتى تاتي نادي بن فلان ، فاذا قدمت فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ثم امض اليهم بسكينة ووقار حتى تقدم بينهم وتسلم عليهم ثم قل لهم : يا عباد الله ارسلني اليكم ولي الله لاخذ منكم حق الله في اموالكم فهل لله في اموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه ؟ فان قال قائل لك :لا فلا تراجعه ،وان انعم لك منهم منعم فانطلق معه من غير ان تخفيه او تعده الا خيرا ، فاذا اتيت ماله فلا تدخله الا باذنه ، فان اكثره له ، فقل :يا عبد الله اتاذن لي في دخول مالك ؟ فان اذن لك فلا تدخله دخول متسلط عليه فيه ،ولا عنف به ، فاصدع المال صدعين ثم خيره أي الصدعين شاء ، فايهما اختار فلا تعرض له ، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره أي ايهما اختار فلا تعرض له ، ولا تزال كذلك حتى يبقي ما فيه وفاء لحق الله تبارك وتعالى في ماله ، فاذا قبض يقرا ذلك فاقبض حق الله منه وان استقالك فاقله ، ثم اخلطهما واصنع مثل الذي صنعت اولا ،حتى تاخذ حق الله في ماله ،فاذا قبضته فلا توكل به الا ناصحا امينا حفيظا غير معنف بشيء منها ،ثم احذر كلما اجتمع عندك من كل ناد الينا فصيره حيث امر الله ، فاذا انحدر فيها رسولك فاوعز اليه ان لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يفرق بينهما ، ولا يمصرن لبنها فيضر ذلك بفصيلها ولا يجهد بها ركوبها ،وليعدل بينهن في ذلك وليوردهن كل ماء يمر به ،ولا يعدل بهن عن ليت الارض إلى جواد الطريق في الساعه التي فيها تريح وتغبق ، وليرفق بهن جهده حتى ياتينا باذن الله سحاحا سمانا غير متعبات ولا مجاهدات ،فنقسمهن باذن الله على كتاب الله وسنة نبيه على اولياء الله فان ذلك اعظم لاجرك واقرب لرشدك ،ينظر الله اليها واليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك وبعثت في حاجته ، فان رسول الله قال : ما

ينظر الله إلى ولي له يجهد نفسه بالطاعه والنصيحه له ولامامه الا كان معنا في الرفيق الاعلى . قال : ثم بكى ابو عبد الله ثم قال : لا والله ما بقيت لله حرمه الا انتهكت ، ولا عمل بكتاب الله وسنة نبيه في العالم ، ولا اقيم في هذا الخلق حد من قبض الله امير المؤمنين ولا عمل بشيء من الحق إلى يوم الناس هذا ، ثم قال :اما والله لا تذهب الليالي حتى يحيي الله الموتى ويميت الاحياء ويرد الله الحق إلى اهله ويقيم دينه الذي ار تضاه لنفسه ونبيه ، فابشروا ثم ابشروا ثم ابشروا فوالله ما الحق الا في ايديكم .

علي(ع) الامام العادل الذي يفوح عطر عدله على مر العصور والاجيال ،نقش عدل علي (ع) في تاريخ المجد وخلد التاريخ وخلده.علي (ع)الساريه التي يشع نور عدلها للبشريه مهما اختلفت اجناسها واقوامها واديانها .

علي(ع) فلسفة العدل ونبراسها. علي(ع) ملحمة العدل في كل اركان السمو الانساني .

السياسه الماليه وضرورة اقتداء الولاة والعمال

حرص علي بن ابي طالب (ع)على اشاعة نهجه العادل في السياسه الماليه ،وذلك من خلال محاسبة الولاة والعمال الذين يمثلون سياسة الدوله ومتابعة اعمالهم .ذلك ان الولاة والعمال هم وجه السلطه ،وصورتها المعبره عنها ،في الامصار والمناطق البعيده عن مركز الخلافه . فالناس يرون في الولاة والعمال عليهم صورة الخليفه ووجه الدوله ،والممثل لنهجها وسياستها . وكانت محنة الولاة والعمال محنة المسلمين في جميع العصور بما في ذلك العصر الاسلامي الاول .فكان الخلفاء يضطرون إلى عزل العديد منهم لعدم التزامهم بنهج الاسلام وتعاليمه .

الاخلاق الاجتماعية

بمقدور المتتبع ان يتخذ من وصف (ضرار بن ضمره) لأمير المؤمنين عليه السلام منطلقا للدخول في عالمه الرحيب ،حيث ان الرجل المذكور كان من اصحاب الامام والمطلعين على شؤونه .

فقد دخل ضرار على معاوية ايام استكان الناس واسلموا لمعاوية فالح معاوية على ضرار ان يصف الامام علي عليه السلام فتردد ضرار كثيرا ،فلما مضى معاوية في اصراره قال ضرار :

(اما اذا لابد :فكان والله بعيد المدى ،شديد القوى يقول فضلا ،ويحكم عدلا ،يتفجر العلم من جوانبه ،وتنطق الحكمةمن نواحيه ،يستوحش في الدنيا وزهرتها ،ويستانس بالليل وظلمته ،كان والله غزير الدمعة ،كثير الفكره ،يقلب كفه ويخاطب نفسه ،يعجبه من اللباس ماخشن ،ومن الطعام ما جشب ،كان والله كاحدنا ،يجيبنا اذا سالناه ،ويبتدئنا اذا اتيناه ،وياتينا اذا دعوناه ،ونحن

والله مع قربه منا ،ودنوه الينا ،لا نكلمه هيبة له ،ولا نبتديه لعظمته ،فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم .يعظم اهل الدين ،ويحب المساكين ،لا يطمع القوي في باطله ،ولا ييأس الضعيف من عدله ،فاشهد بالله لقد رايته في بعض مواقفه ليلة ،وقد ارخى الليل سدوله ،وغارت نجومه ،وقد مثل قائما في محرابه قابضا على لحيته ،يتململ تململ السليم ،ويبكي بكاء الحزين ،وكاني اسمعه وهو يقول :((يادنيا ! غري غيري ،ابي تعرضت ؟ام إلى تشوقت ؟هيهات ،هيهات !!قد انبتك ثلاثا ،ولا رجعة لي فيك ،فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير ،اه من قلة الزاد ،وبعد السفر ووحشة الطريق))وهذا الوصف للامام على(ع) وجازته يكشف بعمق عن الاطار العام لشخصية الامام في شتى ملامحها :في الحقل الروحي والاجتماعي ،في علاقته بربه ،وعلاقة مع نفسه ،وكيفية تعامله مع الناس من حوله .

وحيث قد عقدنا هذا الموضوع للحديث عن اخلاق الامام الاجتماعيه التي التزم بها في حياته العمليه ،فان حديث ضرار يضع في ايدينا راس الخيط الذي يوصلنا إلى طبيعة العلاقات الاجتماعيه التي سلكها امير المؤمنين في حياته .(كان والله كاحدنا يجيبنا اذا سالناه ،ويبتدئنا اذا اتيناه ،وياتينا اذا دعوناه ،ونحن والله مع قربه منا ودنوه الينا لا نكلمه هيبة له ،ولا نبتديه لعظمته ،يعظم اهل الدين ،ويحب المساكين ،لا يطمع القوي في باطله ،ولا ييأس الضعيف من عدله).

ويبدو ان هذا اللون من علاقة الامام مع قومه انما كان في ايام حكمه ،مما يطرح بين ايدينا تصورا ناضجا عن عظمة امير المؤمنين وبلوغه القمه في مدارج الكمال والفضيله ،فمع ان الامام كان يحتل موقع القياده في دنيا الناس ،وبيده ازمة حياتهم الفكريه والاجتماعيه ،نراه كواحد من عامة الناس ،وكان

موقعه ليس في اعلى مركز قيادي ،فهو يلغي الحواجز والالقاب ويعامل الامة كما لو كان واحدا من عامتها فبقلب حان ونفس متواضعه ومن حب صادق عميق وهي روح لم يالف التاريخ الانساني منذ الاماد الموغله في القدم حتى اليوم في قيادة رسول الله (ص) ووصية علي عليه السلام .

وقد وفق الامام توفيقا عظيما في قيادة الواعين لاهمية قيادته في دنيا المسلمين على الاقل .

كانت قيادته مبنية على الحب والاجلال معا ،ماكان يبذل من دفء وده للامه ،كان اتباعه يمنحونه الكثير من الود والتعظيم فالامر الذي يذكرنا بسياسة رسول الله ويطرحها واقعا حيا في دنيا الناس فالتجربه واحدة في هذا المضمار وسواه ،وان تغير الموقع التاريخي ورحم الله (صعصعة بن صوحان) حيث يقول في وصفه للامام (كان فينا كاحدنا ،لين جانب ،وشدة وتواضع ،وسهولة قيادة ،وكنا نهابه مهابة الاسير المربوط للسياف الواقف على راسه).

وتتجلى عظمة الامام في اخلاقه الاجتماعيه من خلال المبادئ الاتيه :

اولا :اشاعة العدل الاجتماعي بين الناس .

جاءت الخلافة للامام في ضروف بالغة الخطورة والتعقيد نفذوا النفوذ من الناس قد الفوا الاستثمار واستراحوا اليه وليس يسيرا ابا ان يذعنوا لاية محاولة اصلاحية تضر بمصالحهم الذاتية.

ثم ان المطامع قد تنبهت لدى الكثير من الرجال بعد ان تحولت الخلافة مغنما لا مسؤولية لحماية الشريعة والامة ولقد كان الامام مدركا لحقيقة الموقف بدقائقه وخفاياه بشكل جعله يتعذر عن قبول الخلافة حين اجتمعت الامه على بيعته بعد مقتل عثمان قائلا :((دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان ،لا تقوم له القلوب ،ولا تثبت عليه العقول ،وان

الافاق قد اغامت ،والمحجه قد تنكرت) الا ان جماهير المدينة المنورة وجماهير الثوار من العراق ومصر اصروا على استخلافه عليهم فنزل الامام عند رغبتهم ولكن وفق للشروط الخاصة وهي :(واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ إلى قول القائل وعتب العاتب).

ولقد كانت اولى مهام الامام ان يجسد العداله الاجتماعية في دنيا الناس ويمنح المنهج الاسلامي فرصة البناء فالتغيير على شتى الاصعدة فدشن علي عليه السلام خططه الاصلاحية بالغاء السياسة المالية والاجتماعية والادارية التي كان معمولا بها ليوفر الجو المناسب لتطبيق المخطط الاسلامي في العدالة الاجتماعية فمن بنود خططه الاصلاحية :

استرجاع الاموال التي تصرف بها بنو امية من بيت مال المسلمين .

ابعاد الولاة الذين اساؤوا التصرف وخالفوا امر الله تعإلى وتخطوا منهجه .

تبني سياسة المساواة في توزيع المال والحقوق والغاء دور الطبقية والتمييز والاثرة .

(المال مال الله الا وان اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف..

(الا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار وفجروا الانهار وركبوا الخيل واتخذوا الوصائف المرققه اذا منعتهم ماكانوا يخوضون فيه واصرتهم إلى حقوقهم التي يعملون ،حرمنا ابن ابي طالب حقوقنا).

وقد تبنى الامام سياسة العدل الشامل :

في معاملة الافراد.

وفي منهج الحقوق .

وفي توزيع المسؤوليات .

وكان منهجه في العدل هو منهج الرسول ذاته .

فهلم نصغ إلى منهاجه المتبني في سياسة الامة بالعدل من خلال حديثه:(والله لان ابيت على حسك السعدان مسهدا او اجر في الاغلال مصفدا احب الي من القي الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشئ من الحطام والله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته وان دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين).

(الذليل عندي عزيز حتى اخذ الحق له).

(والله لانصفن المظلوم من ظالمه ولاقودن الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وان كان كارها).

ولم تكن هذه المبادئ التي يتحدث عنها الامام امنيات وافكارا طرحها في دنيا المبادئ والافكار وانما جسدها واقعا حيا قبل ان يطرحها فكرا .

وهي خصيصة من خصائص علي عليه السلام فالقول عنده يعقب العمل او يجري من طبيعته .

ومن خلال ذلك ملأ الامام دنيا المسلمين قسطا وعدلا وحقق انقلابا في واقعهم على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وفقا لمقتضيات العدل الالهي فاعاد بذلك ايام رسول الله في صفائها واشراقها وعدلها الشامل .

كان يخرج إلى السوق ليبيع سيفه كي يشتري بثمنه ازارا وهو في علو شانه وعظمة مركزه الذي يحتله في دنيا المسلمين حيث تجبى اليه الاموال من اكثر اقاليم الدولة الاسلامية وثروات الدولة تحت تصرفه وكان ياكل خبز الشعير بنخالته وغالب ادامة اللبن او الملح والماء .

ومع شدة زهد الامام في الدنيا فقد كان حريصا على توفير الرفاه الاقتصادي للامة التي اضطلع بقيادتها فكان يقسم الذهب والفضه بين الناس ويطعمهم

اللحم والخبز ويعمل كل ما في وسعه لرفع غائلة الفقر عنهم .

وكان بيت المال لا يكاد ترد اليه الاموال حتى يبادر الامام إلى توزيعه على الناس لاعطاء كل ذي حق حقه .

ومنهاجه في توزيع المال التزام اقصى درجات العداله .

فها هو يخاطب الزبير وطلحة حينما كبر عليهما منهاج المساواة في العطاء. (فوالله ما انا واجيري هذا الا بمنزلة واحدة).

وها هو سهل بن حنيف عامله على البصرة يخاطبه :(يا امير المؤمنين قد اعتقت هذا الغلام فاعطاه ثلاثة دنانير مثل ما اعطى سهل بن حنيف).

وياتيه عاصم بن ميثم وكان الامام يقسم اموالا فقال (يا امير المؤمنين اني شيخ مثقل فقال الامام (والله ما هو بكد يدي ولا بتراثي عن والدي ولكنها امانة ا وعيتها).

وبقدر ما كان الامام حريصا على تجسيد روح العداله التي صدع بها رسول الله لاخراج الانسان من ظلام الظلم والقهر والكبت كان حريصا على الزام ولادته وقضاته وقادة جيوشه وجباة الاموال بالتزام العدل في معاملة الناس وتحري الحق في الحكم والقضاء واعطاء الحقوق وفي جمع المال حتى في حالات الحرب وسواها .

الفصل السادس

الفضيله والاخلاق

محمد(ص) وشوق علي(عليه السلام)

رحيق محمد يعطر علي(عليه السلام)

علي (عليه السلام)...قطرات الندى على جبين الرسول

علي (عليه السلام) والفضائل النفسية

وصاياه للولاة

الانسان والحياة

الوظيفة الدنيوية في الوجود الواسع

المفهوم الترابطي بين العمل والجزاء في مساحة الوجود

اعداد خريطة طريق واطر معرفة للحياة ومعاني الوجود

عود الزعفران

محمد(صلى الله عليه واله وسلم) وشوق علي(عليه السلام)

نعم الربيب

ونعم الرفيق

أن للصدف عقلا وفكرا وخيالا

أن الصدف تحمل الأعاجيب

أعاجيب تبقى في أطارها المحصور

ماخاف محمد فأدثر

تهيب الدفق الجليل

تهيب السنا

تهيب الأنسان فيه على العتبة المنورة تطل على عالمين :

عالم يرهج بالنور ،وعالم يغرق في الظلمة .

محمد صوت العدالة وصوت السماء

صوت الأنسانيه وشعاع الكون المضاء

محمد رسول الله في الأرض

من حرارة الصحراء وهج في عينيه

ومن رمالها صراحة في شفتيه

ومن يثرب وخمائل الطائف عطر في جانبيه

ومن عصف الرياح ثورة في خياله

ومن بيان اللغة سحر في لسانه

ومن لغة الفكر أنشودة في كماله

حمل رسالة الرب في يمينه

حطم الأصنام بحسامه

نشر دين السماء وقرانه

محمد المصطفى

محمد رسول الله

ماكان له أن يخاف ،وقد أعد للعمل الفاصل ،وما كان له أن يدثر بعباءة ، وقد تجلبب بالوشاح الأكبر :وشاح غزلت خيوطه من مجالات التأريخ ،ومن افاق القيم ،ومن خلود الله وعظمته .

ولكن الحكمة كانت تقضي بالتمهل ،بالتمهيد ،بمد المسابر ،بحبس الأنباض فالمعاجة ليست على غير جسد الأنسان .

كل توقف أو تمهل ،كان من وحي .

كل خوف أو أرتجاف ،كان من تحفر على أقدام :

(ما ودعك ربك وما قلى)

فلتشهد خديجة ،

فليشهد ورقة بن نوفل ،

ولتشهد الجزيرة :

أن مجالات الرؤى حفرت نفسها على جبين المدثر ،

فلتتراسل عن هذا الجبين جلالات النبوه.

ليس من باب الصدف أن يتناول محمد (ص)عليا (ع) من عمه أبي طالب(ع) ليجعله بين أولاده ،فللعم فضل جليل ،وبالأمكان أن يثاب بأبلغ من هذا التعبير ،ولكن التوسم هو الذي كان وراء هذا التصرف .

وتوسم محمد (ص)، هو قراءة الحاضر والمستقبل .له جهازه العميق ، وعدساته اللماحه .

ليس منكورا على علم النفس أن الوجه هو ملعب الطوية ،تشتغل هي في الأعماق ليعكس الوجه أظلالها .أ ن الوجه وحده يكون الجهاز العاكس .أ ن

الخطوط في الوجه .من هنا تأخذ أسمها :فهي الأسارير .أ نها نتيجة ذلك اللمس المتواصل – لمس الطوية ،بين أناملها أزاميل من حرير ،وأزميل من أثير .بهذين الأزميلين يتم حفر الخطوط :تطويلها ،وتعميقها وتعريجها وتقليصها وتمديدها وتشعيبها وتغويرها .وبهذين الأزميلين يتم حفر حدقة العين ،وتشبيكها بالأسلاك ،تضغط عليها النفس من العمق ،فتتجاوب هي تحت ضغط التلامس .

بهذا العمل الصامت تستغل الطوية شغلها الدائم والدائب ،في وجود الأنسان مباشرة ،منذ أن يولد ،ومداورة ،وهو لا يزال في صلب أبيه وأجداده .أ ن لها عملا بالغا ،عن طريق الوراثة .أ ن أزميلها وجد في راحتها مع اللحظه الأولى التي نفختها ،نسمة في الحياة .

أنه من البسيط جدا أن نقر بالنظرية ،ولكن الصعب هو أن نتعلم ،وأن نجيدالقراءة .أ ن قراءة الأسارير علم ،ولكنه لا يؤخذ أيضا الا عن طريق الطوية .

هكذا لمح محمد(ص) في علي(ع) وهو طفل يلعب –كل ما حققه فيما بعد علي (ع)، في مضمار وجوده .لهذا أنتقل الفتى إلى حجر أبن عمه ليكون أحد أعمدة الفكر التي تتنازل الأن خيوطها على المتحنث في غار حراء .

كل شئ يشتغل في أجراء التحضير :أ ن عليا(ع) اليوم هو عدة الغد .

رحيق محمد(صلى الله عليه واله وسلم) بعطر علي (عليه السلام).

في ظل محمد النبي الكريم ترعرع علي بن أبي طالب(ع) .ولم يكن يفتح عينيه على الرسالة المطروحة بين يديه حتى أمتصها بنهم الجائع ،مستوعبا كل معانيها وأهدافها في خطوطها القصيرة والطويلة على السواء ،وأصبح منها وأصبحت منه ،بأمتن ماتكون به الصلات وأعتبرها خشبة الخلاص لشعب يفككه أقتصاده الهزيل ،ويلقيه في بؤرة من التقاليد القديمة الساذجة ويبعده عن محارم العقل السليم والقويم .

فأحتضان النبي(ص) ،هذا العقل المجنح ،رجلا ثانيا هو علي بن أبي طالب(ع) قطب آخر من أقطاب العقل البشري ،كان بالنسبة للجزيرة حظا مزدوج النتائج ،لأن الرجلين جاءا في وقت واحد ،وكان الثاني أنما جاء لتكملة الأول ...فكان هالته وكان أطاره ..

وبالحقيقة ،فأن أبن أبي طالب (ع)، ذلك العقل النير المولد ،لم يستعبد،بأحتكاكه الدائم بأبن عمه الرسول ،عن أن يكون المساعد الأول والمستشار الأجل في كل ما كان من شأنه أن يصور الرسالة الجديدة ويمهد لها سبل نجاحها ..أ ن في الوقت الذي يجب أن تظهر فيه ،أما في الكيفية التي يلزم أن تؤدي بها .وكان بالوقت نفسه ذلك المناضل الجسور والبطل المقدام في دفاعه عنها ،دفاع المؤمن الراسخ بصحتها وصدق مفعولها .

كان في سبيل الجزيرة أولا ..ومن ثم في سبيل الرسالة نفسها بصفتها ستصبح – بدون شك – رسالة الجزيرة للأنسان حيث يوجد أنسان .وليس الذي يبشر في صحة ما يقول الا وهو أول من تنعكس عليه قيمة ما يقول .

والرسالة التي يبشر بها علي بن أبي طالب (ع)،بعد أن ساهم في نحتها وتأديتها وأخراجها والذود عنها ،كان يحمل من كل كلمة منها كل معانيها بنوع

أنها أنعكست فيه تلك المعاني أنعكاسا صادقا وملازما له في كل أقواله وأعماله ومخططاته القريبة والبعيدة ،وأخذ يطبقها نهجا دائما لحياته ليكون بها قدوة حية لغيره ..في سبيل تحضير مجتمع فاضل ،يعتمد الشخصية الأنسانية الملحقة بالفضائل كأساس متين يضمن له صحة العقل وصحة المنهج وصحة الأستقرار .

أن بناء شخصية الأنسان بالعقل والمناهج والمناقب كان أبرز ما أخذ علي بن أبي طالب (ع) يعول عليه في سبيل تطوير حياة الجزيرة .

ولقد بدأ بنفسه .

ومن هنا قيمة الرجل العظيم .

أقول (بدأ) ولست أعني (حاول).. فأن المبادئ التي أعتنقها كانت أصيلة فيه .فلقد مرت ،قبل طرحها على الراي العام ،على عقله .

أن الجزيرة التي كانت تشكو التخمه بفسحة أرضها ،كانت تشكو المجاعة إلى شخصية الأنسان التي يمكنها ضبط مجالاتها ،وكانت تشكو المجاعة إلى مجتمع أنساني تعززه الشخصية الفاهمة .

أن هذه الشخصية المنشودة قدمت لها الرسالة الجديدة كل ملابسها .

وها هو أبن أبي طالب(ع) يفصل منها كل ثيابه ويتقدم بها زيا وطرازا ،ليعرضها على بني قومه ،ويكون لديهم في قدوة العارض ..لبسها في تفهمه للدنيا وفي تفهمه للاخرة . فكان زهده بالأولى طريقا إلى الثانية .لبسها بهذا العقل المولد والمستنير ،فكان قوة وأرادة وشجاعة وبطولة ومثالا لا يحتذى .

عرضها وأختال بعرضها ،غير ابه بكل الصدمات التي ستقابله بها عقلية الجزيرة العتيقة ،بكل قحطانيتها وعدنا نيتها المتسلسلة حتى اخر مواليدها .

ولم يشعر قط بأن الخيبة ستكون من نصيبه ،لأنه كان يرى الأشياء بمجالها

الطويل وان الذي يقدمه اليوم فهوفسحة عمره .،لهذا قدمه مجردا من كل مساومة .

في سبيل بناء هذه الشخصية ..قدم علي عليه السلام جهود عمره مثبتا أن العقل هو كل ما في الوجود للأنسان.

علي (عليه السلام) قطرات الندى علي جبين الرسول:

قال علي عليه السلام

لقد علم الناس بان سهمي من الاسلام يفضل كل سهم
واحمد النبي اخي وصهري عليه الله صلى وابن عمي
واني قائد للناس طرا إلى الاسلام من عرب وعجم
وقاتل كل صنديد رئيس وجبار من الكفار ضخم
وفي القران الزمهم ولائي واوجب طاعتي فرضا بعزم
كما هارون من موسى اخوه كذلك انا اخوه وذاك اسمي
لذاك اقامني لهم اما ما واخبرهم به بغدير خم
فمن منكم يعادلني بسهمي واسلامي وسابقتي ورحمي
فويل ثم ويل ثم ويل لمن يلقي الاله غدا بظلمي
وويل ثم ويل ثم ويل لجاحد طاعتي ومريد هضمي
وويل للذي يشقي سفاها يريد عداوتي من غير جرم

عفوك يابن ابي طالب ..فانت من الرساله كقطب الرحى .ان الدروب التي مشيتها برفقة الرسول تشهد بثقل خطاك ...بضع سنين ربما مشاها وحده وانت إلى الجنه ، فيما عداها

في وحدة العيش

وفي وحدة المصير

وفي وحدة النهج

وفي وحدة التفكير

فاية اعتلاجات روحه لم يكن من نفسك فيها اعتلاجة يا رفيق الدرب والعمر والجهاد ،بكل ما في الدرب من وعورات وبكل ما في العمر من اوصاب وبكل ما في الجهاد من اثقال ؟

ويا حبيبا تنزل في شغاف حبيبه كما تنزل البلغه على الاوار ..وياشطرا تناول شطره في كل المهمات والملمات..

فاذا ما نمت في فراشه فاي فرق كان مابين ثوبك وبرده ؟..افهل تكون وحده الروح اضيق فسحة من بادرة الفداء.

ولا غرو ياحبيب الرسول ،فانت في نظره كقضيب من النور اخذ بفلقتين هو فلقة منها وانت الثانيه ..وكنت في رايه بوابه العلم اذ يكون هو مدينته ، وانت زوج ابنته وفلذة كبده فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين مع مريم بنت عمران ،وانت منه كما يكون القلب من الجسد وكما تكون العين من الحدقه .

أي فكر ساوره ،ولم تسقط عليك ديمه ؟.. واي عزم عزمه ولم يمر على زنديك ثقله ؟..واي سيف سله ولم يكن على مسنك شحذه ؟..

حتى روحه الكريمه ما احب ان يقدمها الا على راحتيك وهو يطرحها على احضان ربه .

هكذا نعمت بالرفقه على طول السماح ،وهكذا صدمت بالفرقه على الم البراح.

فتهيا فان الرساله التي ترعرعت في ظل قلبك وغرفت من فيض حجاك ستظل ترتبط بمحامل سيفك نياط مفاوزها ، لانك لها اذ تغور بها الرحاب .

علي (عليه السلام) والفضائل الانسانية.

أقـيك بنفسي ايها المصطفى الذي هدانا به الرحمن من عمه الجهل
وافديك حويائي وما قـــدر مهجتي لمن انتمى منه إلى الفرع والاصل
ومن ضمني مذ كنت طـــفلا ويافعا وانعشني بالبر والـــــعل والنهل
ومن جده جدي ومـــــن عمه عمي ومن اهله امي ومـــن بنته اهلي
ومن حين اخى بين من كان حاضرا دعاني واخاني وبين مـــن فضلي
لك الفضل اني مـــــا حييت لشاكر لاتمام ما اوليت ياخاتم الـــرسل

قال علماء النفس والفلاسفه : ان اعمال الانسان وافعاله التي تظهر إلى الوجود انما هي اثار نفسيته التي تطبع عليها ، وانطباعاته التي خامرت روحه عن الوراثه والتربيه ، فالفضائل بكافة انواعها واقسامها ، والرذائل بجميع اشكالها واجناسها ما هي الا ولائد التربيه او رواسب الوراثه.

وحديثنا حول الفضائل النفسيه التي امتاز بها الامام علي (ع)وانما وصفنا الفضائل بالنفسيه لان هناك فضائل لا ترتبط بالنفس كالنسب الشريف والجمال والقوه فانها امور لا اختياريه ،والفضائل النفسيه تظهر إلى الوجود بالطوع والاختيار كالجود والعفو والزهد والعباده وما شاكل ذلك فانها منبعثه من نفس طاهره شريفه فاضله وإلى هذا اشار القران الكريم بقوله تعإلى :((قل كل يعمل على شاكلته)) أي قل يا محمد كل واحد من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخلقيته التي تخلق بها او على طريقته وسنته التي اعتادها وقال الشاعر :

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم ابطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا فكل اناء بالذي فيه ينضح

ونعرف العوامل التشريفيه والتاثيريه في نفسيته الطاهره من حيث الميلاد

والمواهب والمزايا والخصائص والتربيه ،فانتجت تلك العوامل الالهيه والنبويه احسن انتاج ،وجعلت نفس علي مركزا لانطلاق كل فضيله وخير فلا عجب اذا كان الامام (ع) صوتا للعداله الاسلاميه ورمزا للفتوه والمروءه ومثالا للعطف والحنان الابوي .

واصحاب النفوس الشريفه تختلف هواياتهم عن غيرهم ، فهم دائما وابدا يلبون نداء ضميرهم الانساني ،ويستلذون باسعاف الفقير والمسكين ،ويبتهجون باشباع البطون الجائعه واكساء الاجساد العاريه وانقاذ البؤساء من براثن الفاقه،وحيث انهم اشربوا معرفة الله تعالى وخالط حب الله لحومهم ودماءهم فان اسعد اوقاتهم والذها عندهم هي الساعات التي يشتغلون فيها بمناجاة ربهم والخضوع والخشوع امام عظمة الله تعالى ، فلا يملون من العباده كما لا يمل الحبيب من مكالمة حبيبه .

وان الانسان حينما يحس بالنقص في نفسه من حيث العلم او الفن او الفضيله او القوه او الجمال او ما يشبه ذلك فانه يحاول اخفاء ذلك النقص وجبران ذلك العيب عن طريق التزيين والتجميل في الملبس والمسكن وسائر لوازم الحياة ومظاهر الترف ،كل ذلك ارضاء لوجدانه وضميره الذي يؤنبه بالنقص ، اما اولياء الله فانهم يحسون بالكمال في انفسهم ،فهم في غنى عن ستر النقص عن طريق التجميل والتفنن في الملبس والماكل والمسكن وما جرى مجرى ذلك لانه نقص فيهم .

وعلى هذا الاساس كانوا يختارون لانفسهم البساطه في المعيشه ، ويتجلى الزهد في جميع مظاهر حياتهم بدون أي تكلف وتعسف ، فلا يشتاقون إلى اختلاف الاطعمه ولا تميل نفوسهم إلى زخارف الحياة وزبرجدها ،فان الاحساس بالكمال يحول بينهم وبين الشعور بالحاجه إلى ما تتهافت عليه

نفوس الاخرين من حطام الدنيا .

والاحاديث التي اشتهرت بين اعلام الحديث عن علي بن ابي طالب (ع) قال ابن ابي الحديد في مقدمته لشرح نهج البلاغه :

وما اقول في رجل اقر له اعداؤه وخصومه بالفضل ؟ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله ؟ فقد علمت انه استولى بني اميه على سلطان الاسلام في شرق الارض وغربها ، واجتهدوا بكل حيله في اطفاء نوره ،والتريف عليه ، ووضع المعايب والمثالب له ،ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا ما دحيه ، بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من راويه حديث يتضمن له فضيله او يرفع له ذكرا ، حتى حضروا (منعوا) ان يسمى احد باسمه ،فما زاده ذلك الا رفعه وسموا ،وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه وكلما كتم تضوع نشره ، وكالشمس لا تستر بالراح ، وكضوء النهار ان حجبت عنه عين واحده ادركته عيون كثيره.

وما اقول في رجل تعزى (تنسب) اليه كل الفضائل ؟ وتنتمي اليه كل فرقه ،وتتجاذبه كل طائفه ،فهو رئيس الفضائل وينبوعها وابو عذرها وسابق مضمارها ،ومجلي حلبتها.

وكل من بزغ فيها بعده فمنه اخذ ،وله اقتفى ،وعلى مثاله احتذى ...

وان رجعت إلى الخصائص الخلقيه والفضائل النفسيه والدينيه وجدته ابن جلاها ،وطلاع ثناياها.

وصاياه للولاة

وهذه بعض وصاياه في هذا المضمار (سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان واعلم ان ما قربك من الله يباعدك من النار وما باعدك من الله يقربك من النار).

(انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصومه دون عباده).

الانسان والحياة :

لهبوط ابي البشر ادم على وجه الارض ، وما تلاه من رسالات سماويه بدا ان جبهة المسير الوجودي ذات سكه طويله وقناطر متعدده بدءا من الدنيا وعبورا بالموت نزولا بالبرزخ والمحشر ثم افتراق الامم بين جنة او نار ..

الا ان الدنيا ظلت المسرح الاضخم في ذهن البشر لما تعنيه من مركزيه في تطلع الانسان واغتنامه للفرصه الوجوديه..

لقد اتفق ارباب العقول وعمالقة الفكر واباء الفلسفه على ان الحياة تعني ظاهرة ضخمه ونموذجا اعجازيا يدل على الارتباط النهائي والتام بخالق قادر حكيم صمدي ابدي ازلي ولايمكن ان تكون الحياة وليدة صدفه او نتاج عاصفة عدميه .

الا ان التجربه البشريه من منظار الفكر الارضي لم تستطع ان تنزل الدنيا منزلتها عليه :لم تستطع ان توظفها في طول مفهوم الكونيه الوجوديه او التتابع الوجودي العظيم الاعمق والاكبر من فكرة الكونيه الوجوديه .

وقد امتازت رسالات السماء في عرض مسلسل الوجود ومعالم الاعجاز ونماذج مذهله من تجليات الشهود والغيب بمحيط برهاني دليلي خشعت له العقول ودانت له النفوس باصل طينتها متناغمة مع الفطره المطويه في اصل تكوينها .

ومع رسالات السماء فتحت البشريه اعينها على نوع مذهل من فقه الوجود وصور الموجود ومسيره البقاء الذي ينتهي خلودا باذن الله تعإلى على ان الخلود هذا انما هو مستمد من الله الصمدي الابدي الازلي سبحانه وتعإلى .

ومع بعثة النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم تجلى فقه الحياة بنوع غني من مشاهد الزحف البرهاني ومجموعات الدليل الحي ، ومن الله عليا (ع) بعد النبي (ص) بمنصب الامامي الرباني ، الذي رصده الله تعإلى لاثني عشر اماما اولهم علي بن ابي طالب واخرهم المهدي عليهما السلام الذي يخرج في اخر الزمان .

ولقد تالق فقه الوجود على يد الامام علي عليه السلام وصي النبي وانما الامير باب علم مدينة النبي وخزان بيانه .

من هنا فقد عرضت لزاويه من زوايا الكشف الوجودي من القليل القليل مما قاله الامام علي عليه السلام واهل بيته الطاهرين . وهم خصوص النخبه من بني هاشم الذين شهد لهم القاصي والداني مله الاسلام ومن عبدة الاوثان ومن طرائق اهل الفكر والتراث كلهم وهم كما وصفهم الجاحظ:

(ملح الارض ، وزينة الدنيا ، وحلى العالم ، والسنام الاضخم ، والكاهل الاعظم ، ولباب كل جوهر كريم ، وسر كل عنصر شريف ، والطينه البيضاء ، والمغرس المبارك والنصاب الوثيق ،

ومعدن الفهم ، وينبوع العالم).

وقبل هذا وذاك : هم الذين قال بهم النبي صلى الله عليه واله وسلم بنصوص كثيره صحيحة عند كل علماء المسلمين :(اني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض). فكانو ثنائي القران ، وحجة الرحمن ، والباب الذي منه الله يؤتى .

ويكفي فخرا وعظمة وتمجيدا لفقه الكون ومعالم الوجود ما جمعه نهج البلاغه ، ما تنقطع عنده العقول ، وتخشع بين يديه الفحول ، وتخشع بين يديه الفحول ، وتهتز عن مسمعه طينة النفوس ، فانه اذا وصف نشاة الكون اعجز اهل العلم في طوب مسيرة التقنيه والاختبار ، واذا تحدث عن الجنه والنار ظننت انك على مشهد مذهل منها واذا بين مافي بطن النمله من سر واعجاز ظننت انك في مملكة الخلق ومصانع التكوين ،

وبين هذا وذاك عرض لامور تكوينيه وجوديه لايقوم لها عقل بشر الا من اصطفى الله تعالى . وقد قال عليه السلام :(لو كشف لي الغطاء لما ازددت يقينا).

ولقد كثرت الشهادات في هذا الامير (المعجز) إلى درجه لا يحصى معها قول قائل ، لعظيم ماعليه عليه السلام الذي قال به رسول الله صلى الله عليه واله وسلم (انا مدينة العلم وعلي بابها)..

وبتعبير اخر: ان عليا عليه السلام كان من معجزات النبي صل الله عليه واله وسلم كالعصا لموسى عليه السلام واحياء الموتى لعيسى عليه السلام .

واليك بعضا يسيرا مما قيل في عظمة علي عليه السلام من قوم لم يكونوا من شيعته ، ما يدل على رفع الرتبه الكبرى التي حبا الله بها

قال جبران خليل جبران : مات الامام علي شان جميع الانبياء الباصرين

الذين ياتون إلى بلد ليس ببلدهم ، وإلى قوم ليس بقومهم ، في زمن ليس بزمنهم . (ان عليا لمن عمالقة الفكر والروح والبيان في كل زمان ومكان).

قال صاحب بن عباد : ما اقول في رجل تحبه اهل الذمه على تكذيبهم بالنبوه وتعضمه الفلاسفه على معاندتهم لاهل المله ، وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيتها وبيوت عبادتها ، وتصور ملوك الترك والدليم صورته على اسيافها .

(ما اقول في رجل اقر له اعداؤه وخصومه بالفضل ، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولاكتمان فضائله فقد علمت انه استولى بنو امية على سلطان الاسلام في شرق الارض وغربها ، واجتهدوا بكل حيلة في اطفاء نوره والتحريف عليه ، ووضع المعايب والمثالب له ، ولعنوه على جميع المنابر ، وتوعدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم ، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة او يرفع له ذكرا ، حتى حظروا ان يسمى احد باسمه ، فما زاده ذلك الارفعة وسموا ، وكان كالمسك ، كلما ستر وانتشر عرفه ، وكلما كتم يتضوع نشره ، كالشمس لاتستر بالراح ، وكضوء النهار ان حجبت عنه عينا واحدة ادركته عيون كثيره . وما اقول في رجل تعزى اليه كل فضيله وتنهي اليه كل فرقه ، وتتجاذبه كل طائفه ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وابو عذرها . وانا وجميع من فوق التراب فداء تراب نعل ابي تراب)..

قال ميخائيل نعيمه : (واني لاطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على ان طبعه مناسب لطباع الاسود ، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه اذ اراد الموعظه بكلام يدل على طبعه مشاكل لطباع الرهبان الذين لم ياكلوا لحما ولم يريقوا دما ، فتارة يكون في صوره بسطام بن قيس الشجاع وتارة يكون في صوره سقراط والمسيح بن مريم . واقسم بمن تقسم الامم كلها

به لقد قرات هذه الخطبه (خطبه الجهاد) منذ خمسين سنة وإلى الان اكثر من الف مره ، ما قراتها قط الا واحدثت عندي روعه وخوف وعظمه اثرت في قلبي وجيبا ، ولا تاملتها الا وذكرت الموتى من اهلي واقاربي وارباب ودي ، وخيلت في نفسي اني انا ذلك الشخص الذي وصف الامام عليه السلام حاله).

وقال ميخائيل نعيمه :(بطولات الامام ما اقتصرت يوما على ميادين الحرب ، فقد كان بطلا في صفاء بصيرته ،وطهارة وجدانه وسحر بيانه ، وحرارة ايمانه ، وسمو ودعته ، ونصرته للمحروم والمظلوم ، وتعبده للحق اينما تجلى له الحق ، هذه البطولات لاتزال غنا نعود اليه اليوم وفي كل يوم).

قال شبلي شميل :(الامام علي بن ابي طالب عظيم العظماء ، نسخه مفرده لم ير لها الشرق ولا الغرب صوره طبق الاصل لاقديما ولاحديثا)..

عن عامر الشعبي قال : (تكلم امير المؤمنين علي السلام بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالا فقئن عيون البلاغه وايتمن جواهر الحكمه وقطعن جميع الانام اللحاق بواحده منهم ، ثلاث منها في المناجاة ، وثلاث منها في الحكمه وثلاثه منها في الادب ، فاما اللاتي في المناجاة فقال :((الهي ، كفى بي عزا ان اكون لك عبدا وكفى بي فخرا ان تكون لي ربا ، انت كما احب ، فاجعلني كما تحب)).

واما اللاتي في الحكمه فقال :(قيمة كل امرء مايحسنه . وما اهلك امرء عرف قدره . والمرء مخبوء تحت لسانه) واللاتي في الادب فقال :(امنن على من شئت تكن اميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن اسيره)..

الوظيفه الدنيوية في الوجود الواسع:

من المقامات الذهبيه التي سلط فيها الامام علي (ع)الضوء على التعريف الوصفي الوظيفي الحقيقي للدنيا قوله عليه السلام :

(.. والدنيا دار مني لها الفناء ،

ولاهلها منها ،

وقد عجلت للطالب ،

والتبست بقلب الناظر ،

فارتحلوا عنها باحسن ما بحضرتكم من الزاد ،

ولا تسالوا فيها فوق الكفاف ،

ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ ..)

ففي هذه الفقرات بيان مدهش لكنه قانون (الحتم التتابعي)

بخصوص مسيرة الوجود ، وعليه ، الناس في الدنيا :لابد لهم من جلاء اهلها يسار بهم وهم نيام ، وهي - أي الدنيا - عدد منقوص ، لا تستقيم على خلد ، ولاتدوم في بقاء ، كونها الله ممرا ، وقرنها زادا لمقر الابد بعد عبور القناطر .

وهي وان كونتها اللذه والمتعه والجمال لكنها مكدوره بالنقصان ، مجبوله بالخسران ، فما من طرف طيب فيها الا له طرف من مكروه ، اولها قوة واخرها عجز ، وحالها كحال رحم الام يلفظ الحمل لمهد بعده وعالم ينتظره ، وعليه : اعظم الناس فيها من حمل منها لغيرها ، وحصد من دار الزاد ليوم المعاد ، فما الدنيا الا بلغة مسافر ومغنم راحل ..

وفي مقام اخر له قال عليه السلام :

((.. الا وان الدنيا قد تصرمت ، واذنت بوداع ، وتنكر معروفها . وادبرت

حذاء (مسرعه) فهي تحفز بالفناء سكانها ، وتحدر (تحوط) بالموت جيرانها ، وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا ، فلم يبق منها الا سمله كسمله الاداوة ، او جرعه كجرعة المقله لو تمززها الصديان لم ينقع، فازمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار ، المقدور على اهلها الزوال ، ولا يغلبنكم فيها الامل ، ولايطولن عليكم الامد ، فوالله لو حننتم حنين الوله العجال ، ودعوتم بهديل الحمام ، وجارتم جؤار متبتل الرهبان وخرجتم إلى الله من الاموال والاولاد التماس القربه اليه في ارتفاع درجه عنده او غفران سيئة احصتها كتبه ، وحفظها رسله ، لكان قليلا فيما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه)).

ففي هذا بيان (الحتم الانهدامي) للدنيا ، والكدر العنيف الذي يكون نعمها ، وها هي تسرع في مسيرها ، تتبع غايتها المخلوقه من اجلها ، تجوب بالبشر في بحر الوجود نحو معبر الفناء الدنيوي

الذي منه يعبر البشر نحو الاخره ، حيث كتب الله للبشر تتابعا وجوديا متالقا بفضله ، على ان السعاده والشقاء في العالم الاخر موقوفه على اعمال هذه الدنيا .

هاهو قانون الدنيا يسير بهم نحو غايتهم ، يحيط بهم الموت من كل جانب ، حتى لايبقى على ظهرها باق ، ولايتحرك حي ، وما هي الا عمر منقوص ، ومده منفضيه ، وغايه متصرمه ، قد انقضى اكثرها فلم يبق منها الاكبقية الماء في الحوض ، كسملة الاداوة ، او جرعه كجرعه الحجر الموضوع في الماء اذا قل ، خوفا من ذهاب الماء ، وتطبيقا لقسمة القليل ،

فهي بمنقوصها هذا ، وانحدارها الكوني من حقل زمانها ، وادبارها بعد اقبال ، ولا تشبع عطشانا ، ولا تضمن خلودا كل ما فيها فان ، حيث يعجز الموتى

على الاخذ ، والاحياء لا يمكنهم رد الموت ان حضر ، اهلها في نعمة فانيه ، وطيبة باليه ، وما الدهر الا المنقوص ، وما العمر الا المرحول ، وما الزاد الا العمل . من هنا حذر عليه السلام من الامل الذي ينسي الاجل ، ويخفي حقيقة السفر ، وما يعنيه من ضرورة الزاد ليوم المعاد ، فان اهلها يسار بهم وهم نيام ، كلما حطوا ازعجوا بالرحيل ..!

ببساطه : الضمانه للخير الوجودي تكمن في الانضباط الذي يناسق كتاب الكون الرسالات النازله من السماء .

المفهوم الترابطي بين العمل والجزاء في مساحة الوجود

من ضمن العناوين الرئيسيه عند الامام انه يحيل النجاة من الدنيا بالتزود منها لغيرها ، ويحذر من الافتتان بلذاتها ، فانها براقه ، غرور ، لامعه قتول، لا تبقي ولا تذر ، تتظاهر بالجمال وتخفي من بطنها النصال ، فهي كالحيه لين ملمسها وفي جوفها السم الزعاف .

يقول الامير عليه السلام :

الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها ، ولا ينجى بشيئ كان لها ، ابتلي الناس بها فتنة ، فما اخذوه منها لها اخرجوه منه وحوسبوا عليه ، وما اخذوه منها لغيرها قدموا عليه واقاموا فيه ، وانها عند ذوي العقول كفيئ الظل ، سابغا حتى قلص ، وزائدا حتى نقص ..)

فما اعظم هذا التعبير وادقه ..!

الامام علي (ع)يقرر هنا ان الدنيا كقطعه وجوديه وظيفتها مساحة عبور اختباري يترتب عليه من ثواب وعقاب ، فمن اخذ منها لها ، أي اخذ من الدنيا للدنيا ، ولم يلحظ في زاده الاخره وحاجتها من الاعمال والصفات ،

فهو حتما سيترك ما اخذ ، ويدع ماتمتع ، حيث يخرجون عما اخذوا ، ثم يحاسبون عليه ، فهو عمل له تبعة ولذه فاتت .

اما الذين اتخذوا الدنيا دار بلغة ، ومطرح سفر ، فهؤلاء تزودوا من الدنيا للاخره ، وادخروا من زادها ما يرجون ثوابه ما بعد العبور إلى ساحة المحشر ، فهم كقوم حملوا بضاعتهم إلى منزل مقرهم فاقاموا فيها منعمين ، ثم يشبه الامير عليه السلام الدنيا بمثابة (فيئ الظل) ، تراه زائدا فينقص ، وكذا العمر والنعمه واللذه ، كل منقوص معدود ، عليه كاتبان ليوم المحشر والسؤال الاعظم .

من هنا يؤكد الامير عليه السلام على ضروره المبادره واتخاذ الحيطه فهما وملاحظة وتدبرا وقراءه للمعالم ومحطات الانتقال .

اعداد خريطة طريق واطر معرفه للحياة ومعاني الوجود

في مجموعه من مضامين بيانه عليه السلام يؤكد ان مفهوم الاختبار الدنيوي يعني ضرورة اعلان حالة اشغال فكري عملي من نوع يتناسب وحجم المخاطر ، ومعايير الركب الانساني ، وصعاب الانقلاب والتحول من دار إلى دار ، بمقدار ما تعنيه الوجوديه هذه .

يقول الامام علي عليه السلام :

(.. اتقوا الله عباد الله ، وبادروا اجالكم باعمالكم ، وابتاعو ما يبقى لكم بما يزول عنكم ، وترحلوا فقد جد بكم ،

واستعدوا للموت فقد اظلكم ، وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا ، وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ، فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ، ولم يترككم سدى ، وما بين احدكم وبين الجن هاو النار الا الموت ان ينزل به ، وان غاية

تنقصها اللحظه ، وتهدمها الساعه ، لجديرة بقصر المده ، وان غائبا يحدوه الجديدان (الليل والنهار) لحري بسرعة الاوبه ، وان قدما يقدم بالفوز او الشقوه لمستحق لافضل العده ،

فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا ، فاتقى عبد ربه ، نصح نفسه ، قدم توبة ، وغلب شهوته ، فان

اجله مستور عنه ، واملة خادع له ، والشيطان موكل به يزين له المعصيه ليركبها ، ويمنيه التوبه ليسوفها ، حتى تنجم منيته عليه اغفل مايكون عنها ، فيا لها حسرة على ذي غفله ان يكون عمره عليه حجة ، وان تؤديه ايامه إلى شقوة ..)

عناوين غنيه جدا تعرض لها الامير عليه السلام ، ومقطوعته هذه غنيه بصور ذات ثقل نوعي برهاني ، الاهم انه عليه السلام تحدث فيها عن الضمانه الاكيده للمفهوم السعيد بعالم الوجود التتابعي .

عود الزعفران

من ذلك المعدن الطيب كفكفت شخصية الامام مستكمله كل مقوماتها...شخصية برز العقل فيها السيد المطلق فاذا هي منه كما هي الدميه من الغمام تستمطره فينهمر بها انسجاما بانسجام وهكذا بسط عليها لواءه كما اسلست له قيادها،فامتصته وامتصها ،قوه بقوه ،ولون بلون..

حتى لكان الهيكل المتين كحبيكة الفولاذ لما استجمعت اوصالها ولا ليكون قاعده جباره لقائد جبار..

فاذا السيف في كفه وامض بكر، له حدان متساندان :

حد على الترس وحد على القرطاس في حلبه ابدا بيضاء ذات وجهين :

وجه على الجهاد ووجه على السداد ..

ازدواجيه في البطولات لملمها التوحيد فانساقت على المضمار كانسياق الجوارف تلاحمت اليها الجداول.

جداول من المواهب تلبست المزايا والصفات كما تتلبس الافانين اوراق الربيع، وتظافرت في تساجمها وتناسقها كحبال الشمس وحدها المصدر، كالمطهر ،تتذاوب فيها المعادن .

هكذا انصهرت في هذه الشخصيه مجموعة المواهب و مجموعة الصفات ومجموعة المزايا قيمه بقيمه ،ووزنا بوزن ، ومقدارا بمقدار ..فاذا هي تزاوجت بعضها من بعض كما تتزاوج الالوان في لوحة رسام ..واذا المعطيات كالفيض، تجري كانها في سباق،وتتساند كانها انداد .

فالعفه والصدق ريشتان ناعمتان كان لهما من القوة لديه ما كان لهما منها في زنديه : الترس والفرند ،.. والزهد والجود ..جناحان رهيفان افاء عليهما من ظله ،فاذا هما بعين المدى يتباعدان ثم اليه يلتقيان .. فاذا الزهد بالدنيا جود بها ، واذا الجود بالزهد اكتمال .

والتقوى والايمان شعوران صميمان منبعان صافيان غارا في جناحه ، واندفقا على لسانه ،فاذا هما به على نصب الكعبه حسام ، ومن ورعه قبلة للاسلام.

والحق والعداله صفتان متلازمتان وقلادتان فريدتان ، حجتان لامعتان ..وشم بهما وجدانه وحلى بها بيانه ،وسن عليهما سنانه فاذا القيم بين الحق والعدل تتلمس في معتقده تراثها .

والحب والاخلاص : حبلان وثيقان ،ودقتان سخيتان ترابط بهما فؤاده ولسانه ..فاذا الارض، بجماعتها ،تتشد الدفء لتمرع .والحزم و العزم نتيجتان منبثقتان من صلابتين متكاتفتين القوه والاراده كان لهما من عينيه

انعكاس على ساعديه وثوره في منهجيه ، فاذا الدين والدنيا في ناظريه قالبان يستكملان وحدة الوجود من حديه ...

من كل هذه المقاديرمواهب وصفات شربت شخصية علي بن ابي طالب(ع) فاذا هي في وجود الانسان دعامه تتشبث بها قيمة الانسان .

الفصل السابع

الحكم والسلطة

نظرية الدولة

الرعية

الاقليم السياسي

السلطة السياسية

حب واجلال

الدوله والشعب

ان مصطلح (الراعي والرعيه) هو ما يعبر عنه في العصر الراهن بالسلطه والجماهير او الدوله و الشعب .وهذا المصطلح كان متواترا في العصور الاسلاميه ،استلهاما من افكار النبي العظيم محمد (ص) في تاشير دلا لات طرفي المصطلح :وما الرعيه ؟وما مسؤولية الواحد نحو الاخر ؟ ومدى صلة تلك المسؤوليه بالحياة–الدنيا (سياسيا ،اقتصاديا ،فكريا) وبالحياة –الاخر (عباديا وايمانيا).

ان الافكار والنظريات السياسيه ،تتناول طرفي العلاقه (السلطه – الجماهير ،الدوله – المجتمع)بميل إلى طرف اكثر من الطرف الاخر .

فالتيارات الاشتراكيه واليساريه والثوريه تركز على (الجماهير) باولوية خاصه، اما التيارات السياسيه التقليديه ،والمحافظه فتصرف للدوله ،والنظام اهتماما اكبر.

وانفردت افكار ذات اصاله بطرح المغزى الاجتماعي لنشوء الدوله وتطور السلطه ،عبر دراسات بنيويه سياسيه اقتصاديه اجتماعيه متلازمه ، بصور رؤيه عصريه متوفر الا انها لم تركز على ذخيره تاريخيه لها .

كما انها لم تستوعب حسية الاستمرار والانقطاع والتكرار والتجدد في حركة الناس التاريخيه والاعتياديه .

أي ان النظريه نفسها تصبح بناء مغلقا متعاليا رغم انه مهم ومثير .انه يتحول إلى سلطة ،سلطة نص ايدلوجي ،وفكريات متماسكه تتباعد بدرجات وبمسافات عن واقعية الحركه الاجتماعيه بثقافتها العامه والمتفرعه منها او خارجها .

كانت رؤية علي بن ابي طالب (ع)قد اقامت العلاقه بين الراعي والرعيه على اساس جدلي عميق متبادل الفعل والتاثير .فالراعي (السلطه)هو اصلا جزء

من النسج الاجتماعي للناس وان كان بالنتيجه يبتعد من ذلك الاصل .
والرعيه هي التي يتخرج منها الرعاة وولاة الامر والعمال والقضاة ورجال الاعمال .
وياخذ التخرج مساره السياسي والفكري والطبقي والانتاجي –اقترابا وابتعادا– من حقوق الرعيه ومصالحها .
ويؤكد علي بن ابي طالب (ع) على مبدا سياسي اول وهو :ان الرعيه لا تصلح الا بصلاح الولاة .
وهذا يفترض –ابتداء – ان الرعيه بحاجه ثابته إلى الراعي الصالح ،الذي يخدم مصالح ، وصالح الرعيه ،مشددا في ذلك،على واجب السلطه ، اية سلطه في خدمة الرعيه (الجماهير الشعب المجتمع) وهو واجب اكبر من حدود وتاطيرات سياسيه واقتصاديه وخدماتيه انيه بل هو واجب يتصل بغايه اعظم ،هي غاية الصلاح التي تعد اقصى اهداف السياسات الاجتماعيه وغاياتها .
فالصلاح اكبر –وفقا للفهم المذكور –من الاصلاحات الجزئيه ،والمرحليه انه تحقيق الخير العميم ،والسعاده المشتركه القائمه على ركيزه ماديه مدعومه بمنظومه افكار حقوقيه ضامنه لها ومضمونه بها .
ان الرعيه بالذات ليست مؤهله مهما كانت مواقف الولاء لها حريصه على اظهارها باحسن صوره . فالرعيه محتاجه إلى الصلاح ،لانها محرومه ماديا ، وحقوقيا منه باي مستوى وباي شكل .وحاجتها إلى الوالي الصالح (السلطه العادله)،هي حاجة ثابته ،إلى حين تتحقق فيها الاستقامه العادله لها .بعد ان تتجاوز الحرمان ،والوعي القاصر ،والعجز الذي يدلل على عدم وجود الاراده المستقله لها .

هنا ، يشير علي إلى قضية جوهريه اساسيه وذات مغزى تاريخي جذري وهي ان الوالي لا يصلح الا باستقامة الرعيه .فهو اولا نتاج موجودها الاجتماعي والفكري والنفسي.

وهو ثانيا يمثل سلطة اما ان تكون ظالمه او انها غير ظالمه ،الانها تتجه نحو الظالم بسبب الانحراف الناشئ من سلطان (السلطه) وطغيان المصلحيه ،والشعور بالقوه المتعاليه.

وهذا يضع الرعيه امام مسؤولية التصدي الواجب لظلم الوالي او لانحرافه .

وسوف ترد امثله كثيره عن انحرافات الولاة والعمال المسلمين والمؤمنين الذين كانوا يتمتعون النزاهة سواء بصورتها المتواضعه :مثل (مصقلة الشيباني) العامل على (اردشيد) من مقاطعات فارس ، او (المنذر بن الجارود العبدي) او بصورتها المتميزه والمشار اليها بالبنان ،والتي كانت قصة عبد الله بن عباس (ابن عم علي بن ابي طالب) مثلها المعروف . فالسلطه تحمل بذور الانحراف ،للولاة والعمال ،مهما كان الحرص على المبادىء قويا ،لانها تضم في احشائها الاغراءات العاليه التي قد تدفع إلى الانحرافات الخفيفه التي قد تتطور إلى انحرافات اقوى هي الفساد العدو الاول للصلاح .

ان منطق السلطه المدعوم بالمصالح والامتيازات المتاحه من قبلها يتصارع مع منطق العدل والزهد للوالي والعامل ،وقد يغلبه وبخاصة حينما تكون المؤثرات السياسيه والاقتصاديه العامه مناقضه لمنطق العدل متلائمه مع منطق الامتيازات السلطويه والمصالح السياسيه والاقتصاديه .

ماهي الضمانه التي تحول دون انحراف الولاة او دون استمراره؟

هنا تتجلى الضربه الفكريه الفذه لعلي ابن ابي طالب (ع)،في البحث عن الضمانه دون انحراف الوالي في ادارة الجماهير وفي حضورها العادل ،

وليس في السلطه نفسها .

فهي – بهذا المعنى – تعبر عن ارادتها المباشره ، وتدخلها المباشر في صنع السياسه ، واختيار الولاة ، وردع الانحراف . وهي ايضا – تكتشف جوهرها ، واستقامتها ،في الفعاليه السياسيه الشامله ، التي هي فعالية نقد ، وتقويم ،وبناء واعادة بناء ، دون ان تسمح باي احتواء لها من قبل السلطه ، ولاي سبب كان .

فالعلاقه اذن عميقه ودقيقه وحساسه بين صلاح الوالي واستقامة الرعيه تقررها معطيات واقعيه وقواسم مشتركه بعضها ظاهر وبعضها الاخر باطني .

فالرعيه في الشق الثاني من الاضاءه اذ لم تمترس دورها في خلع الوالي الفاسد ،وطرد الوالي المنحرف انما تكشف عن خلل في نزاهتها واستقامتها . فهي منحرفه بمقدار قبولها بوجود الوالي الظالم او المنحرف (أي السلطه الظالمه او المنحرفه). واية خطوه تخطوها الرعيه على طريق مواجهة السلطه الظالمه تقربها من اكتشاف استقامتها وتاكيد جوهرها .

وتستوعب افكار علي(ع) هذه المغزى العبقري للايه الكريمه (كيفما تكونوا يول عليكم) لان جدلية بقاء الوالي او تغييره مرتبطه بجدلية قبول الجماهير او عدم قبولها ، بما تحمله تلك الجدليه من جانبها من صفات متوازيه وراء الظاهر . فثمة قبول يحمل سرا عدم الرضا وإلى الحين الذي يعبر فيه عن نفسه بانه عدم الرضا ورفض فان القسمات المشتركه للعلاقه بين الجماهير والسلطه تتقرر بدقه زمنيه تكون مفهومه في النتائج الفعليه .

وفيما يلي نص علي بن ابي طالب (ع) الذي يعرض لابعاد رؤيته الفكريه في العلاقه بين الوالي والرعيه :

((وأعظم ما أفترض – سبحانه – من تلك الحقوق حق الوالي على الر عيه

، وحق الرعيه على الوالي ، فريضه فرضها الله – سبحانه – لكل على كل ، فجعلها نظاما لالفتهم ، وعز لدينهم ن فليست تصلح الرعيه الا بصلاح الولاة ، ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعيه .

فاذا ادت الرعيه إلى الوالي حقه ، وادى اليها الوالي حقها ،عز الحق بينهم ، وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل ، وجرت على اذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان ، وطمع في بقاء الدوله ، ويئست مطامع الاعداء .

واذا غلبت الرعيه واليها ، او اجحف الوالي برعيته ، اختلفت هنالك الكلمه ،وظهرت معالم الجور ، وكثر الادغال في الدين (أي الفساد)، وتركت محاج السنن ، فعمل بالهوى ، وعطلت الاحكام ، وكثرت علل النفوس ،فلا يستوحش لعظيم حق عطل ، ولا لعظيم باطل فعل ! فهنالك تذل الابرار ، وتعز الاشرار ،وتعظم تبعات الله عند العباد .

فعليكم بالتناصح في ذلك ، وحسن التعاون عليه ، فليس احد – وان اشتد على رضى الله حرصه ، وطال في العمل اجتهاده – ببالغ حقيقه ما الله سبحانه اهله من الطاعه له ، ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحه بمبلغ جهدهم ، والتعاون على اقامة الحق بينهم . وليس امرؤ – وان عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته – بفوق ان يعان على ما حمله الله من حقه . ولا امرؤ وان صغرته النفوس ، واقتحمته العيون – بدون ان يعين على ذلك او يعان عليه))

٠هذه الدرر وهذه الجواهر التي اطلقها علي بن ابي طالب (ع)بحق الراعي والرعيه التي هي نبراس يجب ان يقتدى به على مر الدهور والاجيال.

الحكم والسلطة

الحكم والسلطه عند الامام علي عليه السلام ...

السلطه ،هي وظيفه شرعيه عند الامام علي عليه السلام وليست كرسيا يتصارع من اجله ،وهذه هي حجر الاساس في كل ما يتعلق بحكومة الامام علي (ع)في النظريه والتطبيق .

ولا يمكن فهم فترة حكم علي(ع) الا اذا تشبعنا بتلك الرؤيه الالهيه التي يرى من خلا لها الامام السلطه ..وكل تقييم لحكم الامام لا ينطبق من هذا المفهوم فهو تقييم خاطئ ..

فكثيرون لم يعرفوا مرامي الامام واهدافه فتخبطوا خبط عشواء ،ولا نلومهم على ذلك فقد كان هناك عدد من المسلمين في زمن الامام لم يفهموا تلك المرامي حتى بادرهم الامام قائلا :وليس امري وامركم واحدا ،اني اريدكم لله وانتم تريدونني لانفسكم .

من هنا فالامام ..قولا وفعلا هو شخص واحد فكانت سيرته وسياسته منطلقه من مقولاته ،واول مقوله له ..العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه ..اجل فقد كان في النظريه والتطبيق شيئا واحدا قلما يحدث في تاريخ الحكومات ..من هنا كان الحكم عند الامام على مستويين .

مستوى النظريه ،ومستوى الميدان والممارسه والتطبيق ،فكان لا بد من الالمام بالجانبين معا .

فللامام نظرات معلنه عن الحكم الاسلامي السليم صرح بها في فتره الخلفاء الثلاثه الذين سبقوه وله وصايا لولاته وخطب قالها في المناسبات وتعليقات على الاحداث التي جرت في فترة حكم الاسلام ابتداء من تكوين الدوله الاسلاميه وحتى فترة حكمه وكل هذه النظرات والتصورات تشكل بمجموعها

نظرية متكامله كان لابد من كشف معالمها وتبيان بنودها وقد جمعت في نهج البلاغه .

نظرية الدولة

يقسم اركان الدوله حسب النظريه الحديثه إلى
الشعب ،الاقليم ،السلطه السياسيه.
وباختلاف واضح بين طبيعة الدوله في الفكر السياسي الحديث والفكر الاسلامي ينتج تغير في مفهوم الشعب ومفهوم الاقليم .
فالشعب اناس يرتبطون فيما بينهم برابطة الارض ،بينما الامه يرتبط افرادها برابطة العقيدة الواحده .فهناك حدود الارض هي التي تحد مواطني الدوله .بينما هنا العقيده هي التي تحد هؤلاء المواطنين .
من هنا فالاقليم في الدوله الاسلاميه ممتد بامتداد العقيده الاسلاميه وهو ليس بثابت لانه يتسع ليشمل الارض كلها .
من هنا قامت نظرية الامام علي عليه السلام.

اولا :الرعية

درج المسلمون على اطلاق مصطلح الرعيه على الشعب وهي ماخوذه من الرعايه ومستلهمه من الحديث الشريف (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وقد ظل المسلمون يستخدمون هذا المصطلح حتى حل الاستعمار الغربي في بلادنا الاسلاميه ،فاخذوا يطلقون لفظة الرعيه على رعايا دول الغرب المستعمره ،فكف المسلمون عن استخدام هذا المصطلح واستبدلوه بمصطلح الامه حيث عم استعماله منذ عهد جمال الدين الافغاني وحتى

الان . والرعيه عند الامام جزء مكمل للراعي ،فلم نجد استعمالا للكلمه منسلخه عن الراعي ،اذ لا رعيه بلا راع ،كما وان لا قدره للراعي ان يعمل شيئا بدون الرعيه ،فهناك تفاعل مشترك بين الراعي والرعيه ،وهناك حقوق متبادله بينهما ،وتشكل هذه الحقوق نظام العلاقه المتينه بين القاعده والقمه :يقول الامام عليه السلام .

واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعيه وحق الرعيه على الوالي .

فريضة فرضها الله سبحانه وتعالى لكل على كل فجعلها نظاما لالفتهم وعزا لدينهم ،فليست تصلح الرعيه الا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعيه ،وقيام كل طرف بما عليه من مسؤولية سيؤدي إلى سلامة المسيره .

فاذا ادت الرعيه إلى الوالي حقه وادى الوالي اليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على اذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدوله ويئست مطامع الاعداء .

وتنطلق هذه الرؤيه من انسان مسؤول وليس من فيلسوف اخذه الترف الفكري وهو يرتقي بمستوى الرعيه ليضع امامها مسؤولية كبرى ..ففي خطبة له في اول خلافته :

اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم فمسؤولية كل فرد في الامه هي مسؤولية شامله للعباد والبلاد .فالمسؤوليه على العباد قضية لا تقبل الشك والشبه .

اما المسؤوليه على البلاد فهي تمتد لتشمل كل البقاع وكل ما يرتع فوقها من البهائم .

وهنا يلتقي مفهوم الرعيه بمفهوم الاقليم فاينما وجد انسان مسلم فالارض

التي يقف عليها ارضه والعلاقه التي بينهما هي علاقة المسؤوليه .

وعندما يكتب الامام ولاية العهد لمالك الاشتر ...يصف له الرعيه وصفا دقيقا يتصاغر امامه كبار الادباء والعلماء .

واعلم ان الرعيه طبقات لا يصلح بعضها الابعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامه والخاصه ومنها قضاة العدل ومنها اعمال الانصاف والرفق ومنها اهل الجزيه والخراج من اهل الذمه ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقه السفلى من ذوي الحاجه والمسكنه .

وكل قد سمى الله له سهمه ووضعه على حده فريضة في كتابه او سنة نبيه(ص) عهدا منه عندنا محفوظا .

فقد تضمنت تلك القطعه الخالده تحليلا اقتصاديا وسياسيا للمجتمع الاسلامي ،تناول فيه الامام الادوار الاجتماعيه لافراد المجتمع وتصنيفاتهم على اساس وضعهم الاقتصادي والسياسي والادوار التي يقومون بها في المجتمع ،فالرعيه على قسمين من حيث الموقع الاجتماعي والسياسي ..الخاصه والعامه .

فالخاصه هم الطبقه الارستقراطيه التي تتكون على بعد شبر من السلطه .

والعامه هم طبقة الاكثريه وهم الطبقه الفعاله في المجتمع التي تتحمل جميع اعباء العمل في الدوله .

فاين سيكون موقع الخاصه من السلطة ؟

واين هو موقع العامه ؟

فالخاصه هم اثقل على الوالي مؤونة في الرخاء واقل معونة له في البلاء .

واكره للانصاف .

واسال بالالحاف .

واقل شكرا عند العطاء .

وابطا عذرا عند المنع .

واضعف صبرا عند ملمات الدهر .

اما العامه . فهم عماد الدين .

وجماع المسلمين .

والعدة للاعداء والعامة من الامه .

وعماد الدين بمعنى اقامته وتطبيقه وهو ليس فقط الصوم والصلاة بل السياسه والاقتصاد والحكم والعدل ايضا .وهم يشكلون اجماعا في الامه ،فكان لابد للوالي من اعتمادهم والاخذ برايهم ،فرايه هو الرائ العام ..كما وانهم يمثلون القوة المستعدة دائما لمقارعة الاعداء ..وهم إلى جانب ذلك يمثلون الاكثريه في الامة .

والامام يضع قاعده هامة وهي الاخذ براي الاكثريه وهو لايضع هذه القاعده جزافا ..فالاكثريه لا لانهم الاكثر عددا في المجتمع ،بل لانهم يقومون بادوار بناءه .فهم عماد الدين وجماع المسلمين والعده للاعداء .

واخيرا هم العامه من الامه أي الاكثريه .

اما الاقليه التي تحاول دائما التقرب إلى السلطه والهيمنه على الوالي فهي ابعد ما تكون عن تحمل المسؤوليات لانها طبقة همها الاول والاخير هو الاستئثار بالسلطه والاستفاده من امكانيات الدوله فهي تندفع لتامين مصالحها الشخصيه وليس لها اهتمام بمصالح الدوله .

وبعد هذا التوضيح المقتضب لمفهوم الرعيه وتقسيماته الاجتماعيه ،كان لابد من وقفة تامل مع مفهوم الامه .

فالامه هي الرعية لكن ليس في زمن محدد بل في كل زمان ،فالامه الاسلامية هم الافراد الذين دخلوا الاسلام منذ عهد الرسول وحتى يومنا هذا وبهذا المعنى استعمل الامام مصطلح الامه .

فالامه لفظ عام بينما الرعية لفظ خاص يستعمل لزمن معين ،يقول الامام علي عليه السلام :((لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع).

ويقول عن الاكثريه المتفاعله مع الوالي بانها العامة من الامة فالامة اشمل من الرعية ،والامة هنا كل الذين يجمعهم جامع الدين ووظيفته العمل من اجل الدين .اما الامه هنا فهم الافراد الذين امنوا بالاسلام وعملوا به والذين ينظمون حياتهم وسلوكهم على اساس الدين .

على هذه الرؤية يطلب الامام من واليه .

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور الامة وهم المسلمون الاوائل الذين عكسوا الدين على سلوكهم وتفكيرهم فكانوا مثلا لغيرهم،واصبحت سيرتهم قانونا يسير عليه المسلمين .

فالامة هي التي اصطبغت بصبغة الاسلام والتي تمتاز بعقيدتها في التوحيد وفي اخلاقها الاسلاميه .

هنا يبدو لفظ الامه اخص من لفظ الرعية لان الرعية تشمل حتى غير المسلمين .

فاذا بين اللفظين خصوص وعموم .

فالامة هم المؤمنون بالاسلام على مدى الزمن .

بينما الرعية هم رعاية الدولة الاسلامية في زمن معين فهم المسلمون وغير المسلمين .الامة هي ظاهرة اجتماعية تتلخص في وجود جماعة من البشر

يسود بينهم روح الترابط والاتحاد وتجمعهم الرغبة في العيش المشترك فوق اقليم معين نتيجة لتظافر عدد من العوامل التي حولتهم إلى قوم يتميزون عن غيرهم من الجماعات البشريه .وينتج عن تلك الفوارق بين الامة والرعية وجود شخصية قانونية للرعية .

فالرعية تتشكل من وجود رابطة سياسية قانونية بينما الامة الرابطة الاساسية فيها هي العقيدة والتعبير المرادف تماما لتعبير الرعية هو الشعب ...

اذ الرابطة التي تربط افراد شعب الدولة هي ايضا رابطة سياسية قانونية تفرض عليهم الولاء للدولة والخضوع لقانونها وتفرض على الدولة في المقابل حماية ارواحهم واموالهم وكافة حقوقهم التي يقرها لهم القانون ،اما مسؤولية الامة فيحددها الامام علي (ع)بما يلي :

واما حقي عليكم :

الوفاء بالبيعة.

النصيحة في المشهد والمغيب ،

والاجابة حين ادعوكم .

والطاعة حين امركم .

يستعرض الامام هذه الواجبات في اطار نظام الحقوق المتبادله بين الراعي والرعية .

ثانيا الاقليم الاسلامي

يتحدد الموقف الاسلامي من الارض على اعتبارين :

الاول :ان مسؤولية المسلمين تمتد إلى اخر بقعة من الارض .

يقول امير المؤمنين عليه السلام : اتقوا الله في عباده وبلاده ،فانكم مسؤولون حتى عن البقاع وهي الاماكن غير المسكونه البعيدة عن المدن والامصار .بمعنى اخر البقاع هي الارضي التي لا يسكنها احد من المسلمين والتي لم يصل اليها طلائع الفتح الاسلامي .

الثاني :الارض الخاضعة للدولة الاسلامية ،فالمسلمون يتحملون مسؤولية استثمارها .

يقول الامام :

الا وان الارض التي تقلكم والسماءالتي تظلكم معطيتان لربكم اصبحتا تجودان لكم ببركتها توجعا لكم ،ولا زلفة اليكم ولا لخير ترجو انه فيكم ولكن امرتا بمنافعكم فاطاعتا واقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا .

فالارض والسماءكلها لله وقد خلقهما الله لخدمة الانسان ولا يحق لاية قوة ان تقف بوجه استثمارها .

وليست الارض التي تقل البشر وحدها في خدمة الناس بل السماء التي تظلهم ايضا هي خدمة الانسان .

فعلاقة الانسان ليست بالارض التي يقطن فوقها بل بالسماء التي تظلله وهذه العلاقة هي اخيرا علاقة استثمار لما اودع الله فيها من بركات او ما ينزل من السماء من امطار . وفي مقابل ما تقدمه الارض من نعم وبركات لا بد من حمايتها والدفاع عنها امام أي اعتداء او غزو .

يقول الامام :

الا ترون إلى اطرافكم قد انتقصت وإلى امصاركم قد افتتحت وإلى ممالككم تزوى وإلى بلادكم تغزى .

انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم ولا تثاقلوا إلى الارض فتقروا بالخسف وتبؤوا بالذل ويكون نصيبكم الاخس .

فالارض التي تعطي للانسان كل ما يحتاج اليه لابد له من الدفاع عنها عندما تتعرض إلى العدوان .

وهذه العلاقة المتبادله التي تنشا وجود الانسان على ارض ما وتسمى تلك الارض في الاصلاح الحديث بالاقليم وهو بقعة محددة من الارض يستقر عليها مجموعة متراتبطة من الناس يمارسون نشاطهم فوقها بشكل دائم .

واذا كان توصل الفكر القانوني إلى مبدا الاقليم الجوي ،جاء متاخرا فان الامام قد اشار في النص المتقدم إلى انضمام السماء إلى جانب الارض في نطاق الاستثمار البشري وهو اشارة واضحة إلى مبدا الاقليم الجوي .

ثالثا : السلطة السياسية :

يستمد الامام تصوره عن السلطة السياسية من النظرة القرانية التي احتوت على تصور كامل لعناصر السلطة السياسية .

فالقران يصرح .

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار)

(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا)

ان الله اصطفه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم)

(اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم)

الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل)

وايات كثيرة وكثيرة تصف لنا رئيس الدولة الاسلامية ،وتضع حدودا لصلاحياته وترسم العلاقة القانونية بينه وبين افراد الامة .

والامام علي عليه السلام هو ابن القران ،فقد تربى في احضان الوحي ونزل القران وهو ابن عشر سنوات وهو لصيق برسول الله ومازال معه وايات القران تتقاطر دون انقطاع .

وعلى اساس هذه النظرية العميقة إلى القران وجدنا الامام يضع منهجا لمعرفة القيادة من القران الكريم عندما ساله سائل قائلا:

فانظر ايها السائل فما دلك القران عليه من صفته فاتم به واستضئ بنور هدايته .

فالقران هو دستور للدولة ...ومنهج للامة فيه كل ما تستطيع الامة ان تبني به نفسها وتشيد به مجدها وترسم طريق مستقبلها .

القران منطلق عند الامام فعلى اساسه المتين يضع الامام اسس السلطة السياسية .

حب واجلال

(ان في هذا الحب لما يخلص من الغرق ربان سفينة بعث عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وتذاءبت عليها الرياح من كل جانب)

(وتكاد هذه الابيات تنطق بحزن الطبيعه ولوعة الدهر على كل ماساة وكل فجيعه اصيبت بها الانسانيه في تاريخها الطويل)

(لكأني ارى سحابات السماء الغائمه القاتمه تجري بطيئه كئيبه في رحاب الفلات البارده)

ان في هذا حب علي للناس وفي حب الناس اياه ، لشيئا يصدق بعضه بعضا وينطق بان العظيم هو من احب الخير ومات عنه شهيدا ، وان عليا(ع) هو ذلك العظيم الشهيد وبان في الناس خيرا كثيرا ورغبة فيه واميلا اليه، فاذا ظلم الخير فانما هم الذين ظلموا ،واذا عظم شانه فقد عظموا به وارتفع لهم الشان !

وانك ماضربت بعينيك صفحات هذا التاريخ الا لتدرك حقيقة حقه ، وهي انك قلما تجد في شخصياته العظيمه من اجمع الناس على حبه واجلاله والانتصار له ، اجماعهم على حب علي بن ابي طالب (ع)، وعلى اجلاله والعطف على قضاياه . وفي مثل هذا الحب يستوي في القلوب ويزخر منجاة للضمير الانساني من الانزلاق . وفي مثل هذا الحب تمرد على البطل وخذلان للجريمه . وفيه لجوء إلى الحق واعتصام بالوجدان . بل ان فيه لما يخلص من الغرق ربان سفينة بعث عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها او كاد ، وتذاءبت عليها الرياح واظطرب هبوبها من كل جانب . فاذا به منتصب على هامة التاريخ امام حق وخير ، كالجبل لاتحركه القواصف ولا تزيله العواصف !لقد ضل المتامرون على علي ابن

ابي طالب(ع) وضللوا ، ثم راحوا فما بقى منهم ومن ملكهم وانتصاراتهم الانقمة الناقمين عليهم وسخط الساخطين ومنطق الضمير الانساني الذي قضى عليهم بالزوال وصغر من شان مايملكون فاذا هم لاشيء الا اذا كانت الاثام شيئا واذن ابن ابي طالب وهج في القلوب وحرارة في الانفاس ومنطق في العقول وقول حكيم وخلق عظيم وما كان ربك ليجعل السماء ارضا والارض سماء والتاريخ على صحة ذلك الشهيد .

ويستمر اعجاب الناس بعلي(ع) من كل سبيل ، ويتصل حبهم من كل وجه ، فيكثر فيه القائلون وكلهم معجب محب ، وانهم ليلتقون جميعا عند حكم يكاد يكون واحدا وهو ان علي ابن ابي طالب (ع)عملاق فكر وبيان ، وشخصيته تتدفق بنور الوجدان . ومن ثم فهو جدير بالاعجاب والحب العميقين .

وفي عداد هؤلاء من تتسم نظرته إلى علي (ع)بطابع النبوه . ولا غرو في ذلك ، فمن اظهر صفات ابن ابي طالب ما يلتقي به والرجال القمم ، وليست حدود ابوة هؤلاء العظماء بالحدود التي تنتهي عند الزواج والنسل . بل ان ابوتهم هي مظهر من اندماج الانسان بالانسان وصله الحياة بالحياة ! فهي بذلك اشمل واعمق .

ثم ان اباء الانسانيه هؤلاء هم اكبر من ان يحصروا في نطاق من الطائفيه او العنصريه اراد التاريخ ان يحصرهم فيه . لقد انطلقوا من كل نطاق وانزوى التاريخ لذلك ترى ان صله الكثيرين من العرب المعاصرين بالامام ، على اختلاف مهودهم المذهبيه انما هي صله الابن بالاب يصطفيه ويرجوه كانما يتعزى عن ماسيه بشهادة ابي الشهداء فهو العظيم الذي انتصر به نور الوجدان على ظلمة المطامع وقد غرق فيها حكام عصره ومعظم حكام

العصور .

العظيم الذي مد الافكار والضمائر بما لاينضب له معين وبما لايؤثر فيه زمان ولا مكان فاذا به ملاذ يلجا اليه طلاب الحق والعدل في الناس واب يستظل بافيائه الوارفه من شعروا بالظلم يجور على العدل وبالقسوه تكتسح العطف وبالشر يفترس الخير وبالاثم يعلو ويصبح له دولة وسلطان .

اما شيعة الامام السائرون على هديه في ظلمات التاريخ فان حبهم له لما يقصر عن وصفه الواصفون واما استشهادهم في هذا الحب فما لم يروه الراوون واما نظرة الناس من غير شيعته اليه فهي موضوع حديثنا الان وانه لمن مفاخرنا نحن العرب ان يكون في تاريخنا امثال علي (ع)الذي اوحى مثل هذا الحب وانطلق من نطاق الخصوصيه إلى نطاق الواسع العام فاذا امره لا يعني حزبا من الاحزاب او طائفة من الطوائف اكثر مما يعني الناس جميعا واذا سيرته مصدر ادب رفيع في كل عصر ومصر وما ذاك الا لان الصفات التي تميزت بها شخصية الامام الظاهره في اعماله واقواله هي صفات تجوز بما فيها من انسانيه وعالميه حدود الزمان والمكان كما تجوز حدود الاحزاب والطوائف ويمثل علي (ع)يتوحد الناس يتداعون إلى التعاون من اجل الخير . ولو شئت ان اسوق الامثله على اجلال الناس لعلي(ع) لما استطعت لها جمعا ولم استطاع سواي ولما وعته المجلدات .

الفصل الثامن

التعايش السلمي

الامام علي (عليه السلام)باني اؤسس التعايش السلمي

علي (عليه السلام)رسول التعايش السلمي

الاقتصاد والتنمية والتعايش

الإمام علي عليه السلام باني اسس التعايش السلمي

التعايش...

هذا الاصلاح القديم الجديد ...السهل الصعب:الذي يشمل ..

تعايش الانسان مع ذاته

تعايش الفرد مع الفرد الاخر

تعايش الجماعه مع الفرد العضو في نفس الجماعه

تعايش الجماعه مع الفرد من الجماعات الاخرى

التعايش بين الجماعات الافقيه في المجتمع الواحد ،كالمؤسسات الانسانيه والنقابات ،واكثر مؤسسات المجتمع المدني.

التعايش بين الجماعات العموديه في المجتمع الواحد كالاديان ،والمذاهب والطوائف والقوميات .

التعايش بين الاغلبيه من جهة والاقليه او الاقليات من جهة اخرى .

التعايش بين المجتمعات المختلفه

التعايش بين الشعوب المختلفه

التعايش بين الامم المختلفه

التعايش بين الحضارات المختلفه

التعايش بين الدول المختلفه

التعايش مع البيئه الطبيعيه

التعايش مع البيئه الاجتماعيه الداخليه ككتله واحده

فالحاجه إلى التعايش موجوده اينماوجدت العلاقه بين الطرفين ،وهي مسؤولية مشتركه يتحملها الطرفان غالبا.

اجل هذا الاصلاح قديم قدم الانسان فقصة (قابيل وهابيل) معروفه ،لكنه

جديد في الوقت نفسه لتداعيات سلبيات العولمه،والضروريات العالميه لاصلاح ثغرات العولمه ، واصلاح ما يسوق من صراع المصالح باسم الدين تارة ،وباسم الحضارات تارة اخرى .

فالحاجه إلى ارساء ودعم وتشريب مفاهيم التعايش حاجه ماسه وضروريه ،ولا سيما مع تحول العالم إلى قريه صغيره.

اما وصفنا للتعايش بالسهل الصعب ،فيعود إلى سهولة التنظير والدعوه اليه ،وصعوبة ممارسته ونشره وتكريسه ،لا للصعوبه المالوفه في الانتقال من النظريه إلى الممارسه فحسب ،بل لجمله من التعقيدات والتداخلات والاسس التي يجب ضمانها مستدامه لزرع التعايش وتاصيله وتكريسه على مختلف الاصعده والمستويات والمجالات المتقدمه .

اضافة إلى ان التعايش من صنف الازدهار بطينة النمو سريعة الزوال .

وعملية التعايش تبدا من نظرة الانسان إلى نفسه وتقييمها ،ومدى نجاحه في اقرار حالة التعايش الداخلي مع ذاته ،فالذي ينظر إلى نفسه نظرة ايجابيه مطلقه او سلبيه مطلقه بينما يقيم الاخر بانه سلبي او ايجابي بصوره مطلقه لا يمكنه ان يتعايش مع الاخر،وكذلك المتعثر في التعايش مع ذاته في محاكاته وحواراته مع الذات للخروج بتوازن بين الارادات الداخليه المتباينه كالعقل والعاطفه والضمير والنفس وما إلى ذلك ،فيكون ذا شخصية بعيده عن التوازن والاعتدال والوسطيه ،وهذا مما يبعد الانسان عن التعايش ،فالتعايش يبدا من دائرة الذات ويمتد ليؤثر ،ويتاثر بجميع دوائر التعايش المذكوره في المقدمه .

فيما تقدم مفردات لابد من التوقف عند كل منها بايجاز :

النظره إلى الذات ...النظره إلى الاخر

لاصلاح النظره إلى الذات ،وبالتالي الاخر يقول سبحانه وتعإلى :(يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا) سورة النساء الايه ١

فالكل مخلوق من نفس واحدة ،أي وحدة في الاصل الانساني ،والناس ابناء اسرة وعائلة انسانيه دون تمييز ،كما في قوله تعإلى :(ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) سورة الاسراء الايه ٧٠

وما هذا الاختلاف في اللغات والالوان ؟

يقول سبحانه وتعإلى في محكم كتابه :(ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم في ذلك لايات للعالمين) سورة الروم الايه ٢٢

فالاصل الانساني واحد ،والجميع مكرمون والاختلاف والتنوع والتعدد في اللغات والالوان من اياته ومعجزاته للعالم .

اذا كانت التعدديه من اياته سبحانه وتعإلى ،وهي الاصل في الحياة فما هو الطريق للتعامل بين مكوناته التعدديه ؟

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) سورة الحجرات الايه ١٣

بعد التاكيد مرة اخرى على التعدديه يحدد الله عز وجل معيار التفاضل بالتقوى التي هو عليم وخبير بها ،ويشير إلى مقدمه من مقدمات التعايش ،وهو التعارف بين مكونات نسيج الاسره.

العالميه الواحده:

هل التعارف يجلب العداوه والصراع ؟

التعارف عادة يمهد للتفهم ،والتقارب فالتفاهم والتعاون والتعايش ،والاثار الخطيره للمعرفه الخاطئه او الناقصه عن الاخر ،باتت معروفه ولذلك يؤكد المصلحون ضرورة تجاوزها ،ومعالجتها لدعم التعايش ،لدفعه نحو التعاون ،كما في قوله تعإلى :(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان).

وفي الحديث الشريف عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم :((خير الناس من نفع الناس).

نعم التعدديه هي الاصل ،وهي ايةواختبار وتنافس واستباق الخيرات في وقت واحد :(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم فينبئكم فيما كنتم فيه تختلفون).

فلا للتجانس القهري بمضمون قوله :((لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)...و(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر).

ونعم للتعدديه ،فالاختلاف والتمايز سيكون دائما موجودا ،لكن بالامكان تحويله إلى اداة ايجابيه تنافسيه فعاله تغني الاطراف المختلفه المتمايزه لتجييره في تخديم الاسره البشريه الواحده ،وهذا ما يامر به الاسلام كما في النصوص المتقدمه.وغيرها ،والوسائل عديده ،منها ما تقدم مثل تاصيل :

١ – وحدة الاصل الانساني .

٢– تكريم الانسان بما هو انسان.

٣– حرية الانسان .

٤– التعدديه.

٥– حظر التجانس القهري .

٦- متطلبات التعايش الاخرى بين الاطراف المختلفه .

وبعباره اخرى فالاسلام يصحح النظره إلى الذات اولا ،وإلى الاخر ثانيا ،وإلى التعدديه ثالثا ،ويزرع متطلبات التعايش رابعا ،فيعالج التحجيم والتضخيم سواء في النظره إلى الذات اوإلى الاخر ،بتاصيل وحدة الاصل الانساني وتكريم الانسان بما هو انسان إلى جانب نفيه للغرور والتعصب وما شابه ذلك من معوقات للاتصال والتعارف ،كما يؤصل الحريه للانسان ،ويرفض التجانس القهري مما يصحح النظره إلى التعدديه ،لضمان التعامل الايجابي البناء معها ،وبكل صراحه وصدق وثقه ،وبعيدا عن المراوغه او النفاق او الاضطرار وما نحو ذلك ،فعند التدبر في الايات الكريمه التاليه إلى جانب ما تقدم يبدو ذلك جليا :((وما ارسلناك إلى رحمة للعالمين).

(ان الدين عند الله الاسلام).

(لا اكراه في الدين).

(لكم دينكم ولي دين).

لا اعبد ماتعبدون).

(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر).

اليس ذلك قمة التسامح المنشود لدعم وترسيخ التعايش ؟

فالتسامح في معناه الاصطلاحي الحديث يدل على قبول اختلاف الاخرين – سواء في الدين ام العرق ام السياسه – او عدم منع الاخرين من ان يكونوا اخرين او اكراههم على التخلي عن اخريتهم .

بل اكثر من ذلك ،فهو يطبق ما يسمونه مؤخرا بارقى انواع التسامح والذي يدعو إلى تجاوز الموقف الذي يقتصر على التسامح بمعنى قبول اختلاف الاخرين ،والتقدم إلى موقف التقدير المناسب لخصائص الاخر واحترام

اخريتهم .

فالاسلام لم يحترم اخرية الاخرين فحسب ،بل يسمح للاخر بتطبيق قوانينه في بيئته وضمن المجتمع او النظام الاسلامي خير دليل على ذلك ،وفي الاحلاف والاتفاقيات التي عقدها وطبقها الرسول الاكرم على الصعيدين الخارجي والداخلي ما هو اكبر وارقى من ارقى انواع التسامح المطروحه هذه الايام مع بداية الالفيه الثالثه .

هذا من جهة ،ومن جهة اخرى فالاسلام يكرس كل متطلبات ودعائم التعايش وما ينعشه ويضمنه بصورة مستديمه مثل :القسط ،العدل ،والانصاف ،العفو ،الصفح ،احقاق الحق ،نفي الظلم ،حسن الظن .وما إلى ذلك .قال تعإلى : (يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعلمون) سورة المائده ٨.

هذه بعض النصوص التي تشير إلى منطلقات وركائز نظريه التعايش في الاسلام ،وقد زرعاها ورعاها الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم واله ايما رعايه ،رعايه كامله وعظيمه للغايه .فالعلامه الفرنسي (جو ستاف لوبون) يقول :(راينا من أي القران التي ذكرناها انفا ان مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمه للغايه).

ويضيف (روبرتسن) في كتابه (تاريخ شارلكن): (ان المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيره لديهم وروح التسامح نحو اتباع الاديان الاخرى .

كما في كتاب (حضارة العرب)(لجوستاف لوبون)الصفحه ١٢٨

اما عن امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام والتعايش فنستعرض بعض اللقطات.

علي رسول التعايش السلمي

يقول سلام الله عليه في عهده لمالك الاشتر لما ولاه على مصر : (واشعر قلبك الرحمه للرعيه والمحبه لهم واللطف بهم ،ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم ،فانهم صنفان اما لك اخ في الدين او نظير لك في الخلق ،ويفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ،ويؤتى على ايديهم في العمد والخطا ،فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه).

وكانه لضمان التعايش بين الراعي والرعيه لا يكتفي بمجرد رعاية الوالي للرحمه والمحبه واللطف في التعامل مع الرعيه وبجميع مكوناتها المختلفه اذن ما هو المطلوب ؟وما هو البديل ؟

المطلوب هو الانطلاق من الذات ،ومن المركز الاستراتيجي للذات ،الانطلاق من القلب ،لتبدا بزراعة الحب والرحمه واللطف ،حتى يتحول ذلك الحب الذي يسع جميع مكونات النسيج الاجتماعي إلى ملكة ،فتحب الرعيه بتعدديتها حبا متواصلا ونابعا من القلب .

وهل هناك ما يضمن التعايش والتسامح اكثر من الحب الواقعي الصادق النابع من القلب ؟

انه الحديث الرائع عن خلق مقومات التعايش المستدام طبعا في النص المتقدم ايضا اشاره إلى اصالة التعدديه وواقعية وعداله وعقلانيه التعامل معها اضافة إلى معالجة وتصحيح النظره إلى كل من الذات والاخر بتاكيد وحدة الاصل الانساني في قوله :فانهم –أي الناس – صنفان اما ا خ لك في الدين او نظير لك في الخلق .

هل الحب والتلطف والكلام المعسول وحده يكفل التعايش ؟

يشير عليه السلام إلى عدم جدوى كل ما تقدم ما لم يعزز بتكريس حقوق الرعيه وتحاشي الاضرار بها وبمكوناتها المختلفه بقوله :ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا – أي تضرهم –تغتنم اكلهم –أي تهضم حقوقهم .

ثم يؤصل عليه السلام العفو والصفح لخلق الارضيه الخصبه للتسامح والتعايش بقوله : يفرط – أي يسبق –منهم – أي من الناس –الزلل – وتعرض لهم العلل أي علة الاعمال السيئه ويؤتى على ايديهم في العمد والخطا وهذا طبيعة الانسان ،فاعطهم من عفوك وصفحك ولا تندمن على العفو اذ العفو احسن عاقبة من الانتقام – ولا تبجحن بعقوبة – أي لا تفرحن بسبب ما عاقبت به احدا فان العقوبه شر عاقبة مهما كانت حقا .

وماهي حدود العفو والصفح المطلوب ؟

يقول عليه السلام :فاعطهم من عفوك وصفحك مثل ما تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه .

ياترى ما هي حدود العفو والصفح الذي نطمع ان يمنحنا الله اياها ؟ هل ثمة حدود ؟

ويقول عليه السلام في خطبة اخرى بما ترتبط بمقومات التعايش وتحديدا بما يتعلق بانصاف الناس والصبر على حوائجهم ودون تمييز :((انصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجكم فانكم خزان الرعيه ووكلاء الامه ...ولا تضربن احدا سوطا لمكان درهم ولا تمسن مال احد من الناس مصل ولا معاهد)والمعاهد هو غير المسلم من اهل الكتاب .

وعن دور العدل المستدام في ارساء اسس التعايش ،فالامام – عليه السلام – يقول :بان استقامة العدل لا يحول دون اعتداء البعض الاخر بل تعمل على حب وود الرعيه للراعي وهو اكثر تقدما من التعايش .

(وان افضل قرة عين الولاة الموجب لفرح واطمئنان الولاة استقامة العدل في البلاد فيامن كل انسان للعداله المطبقه فلا يتعدى بعض الرعيه على الاخر فينتعش التعايش وظهوره مودة الرعيه – أي حبهم للدولة – وانهم لا تظهر مودتهم الا بسلامة صدورهم – بسبب تكريس العدل).

فالامام عليه السلام لم يكتف بمجرد ارساء اسس التعايش بل يدعو للتعامل والتعاطي على اساس الحب الصادق الذي يستند إلى العداله .

اما عن المواطنه الكامله ولجميع الشرائح فورد عن امير المؤمنين (ع): مر به شيخ كبير مكفوف البصر يسال الناس الصدقه فقال امير المؤمنين (ع) ما هذا ؟

قالوا نصراني .

فقال (ع) استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه ؟انفقوا عليه من بيت المال.

فالمواطنه كامله وللجميع دون تمييز والضمان الاجتماعي ومن بيت المال عام يشمل الكل فالحاجه لابد وان تسد مع حفظ الكرامه الانسانيه .

اليس التمييز عدوا للتعايش ؟

الا يكون التعايش – ان وجد – هشا مع الحاجه والفقر والخوف من المستقبل واهدار الكرامه الانسانيه لسد العوز ؟

فالامام عليه السلام يوصي مالك بالضمان في قوله:الله الله يامالك في الطبقه السفلى من الذين لا حيلة لهم أي لا سبيل لهم لادارة امورهم من المساكين – المسكين هو الذي اسنه الفقر من الحركه –والمحتاجين – المحتاج هو صاحب الحاجه – واهل البؤسى أي شديدي الفقر والزمنى أي ذوي الامراض والعاهات التي تمنع عن العمل فان في هذه الطبقه قانعا أي سائلا ومعتزا

أي معترضا للعطاء بلا سؤال واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى أي دون تمييز في ذلك الضمان بين المركز والمحيط او بين العاصمه والمحافظات او بين المدينه والارياف فلا يشغلنك عنهم بطر أي طغيان الملك والنعمة فانك لا تعذر أي لا يقبل الله ولا الناس عذرك.

الاقتصاد والتنميه والتعايش

يوصي عليه السلام (ثم اسبغ – أي اوسع –عليهم الارزاق – باعطائهم مقدار حاجاتهم في رفاه – فان ذلك – الاسباغ – قوة لهم على استصلاح انفسهم – فمن صالح حاله لا يفكر لا في عمله – وغنى لهم عن تناول ماتحت ايديهم –فلا يظلمون الناس باخذ اموالهم ،ولا المال العام –وحجة عليهم –أي سحبا للذرائع –ان خالفوا امرك ،او ثلوا –أي خانوا –امانتك).

فالرفاه المتناسب مع الحاجه يساعد على اصلاح الفرد لحاله وذاته وتفعيل ادائه ويحول دون ظلم الاخر وتفشي الاحقاد .

وهل يمكن اهمال دور الرفاه في احياء التعايش وانعاشه ؟

ويضيف سلام الله عليه في هذا الاتجاه ما يزيد الصوره وضوحا :(وانما يوتى خراب الارض من اعواز اهلها ...)

ولذلك يؤكد اهمية التنميه مشددا على التنميه ورفع الانتاج لدعم الميزانيه العامه محذرا من اللجوء إلى الضرائب المشروعه مشيرا إلى اخطار ذلك على البلاد والعباد بقوله (وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعماره ومن طلب الخراج بغير عماره

اضر بالبلاد واهلك العباد ولم يستقم امره الا قليلا ...فان العمران محتمل ما حملته ...)

فالرفاه ينعش التعايش ولضمانها لابد من تنمية مستدامه والحاجه والعوز تقودان إلى الخراب والتعويل على الضرائب دون رفع الانتاج والارباح يضر بالبلاد ويهلك العباد وكيف لا تكون النتائج كذلك ؟

فحين تتوقف التنميه تتدنى وتنعدم الارباح وتهبط فرص العمل وترتفع البطاله لكن دفع الضرائب المجازه متواصل فيستمر الفقر والافقار والبطاله فيبدا التذمر بالنمو فتختل التوازنات والعلاقات لتختفي فرص التعايش بين الرعيه نفسها من جهة وبين الحاكم والمحكوم .

هذه بعض الفقرات من وصية الامام عليه السلام لمالك الاشتر .

والتي باتت معروفه عالميا بالدستور العلوي وقد اجاد حقا المفكر المسيحي جورج جرداغ في تعليقه على هذاالدستور بقوله :(فليس من اساس بوثيقة حقوق الانسان التي نشرتها هيئة الامم المتحد ه الا وتجد في دستور ره ما يعلو ويزيد.)

اما الامين العام للامم المتحده كوفي عنان فقال قبل سنوات :(قول علي ابن ابي طالب :يامالك ان الناس اما ا خ لك في الدين او نظير لك في الخلق...هذه العباره يجب ان تعلق على مكان كل المنظمات وهي بعباره يجب ان تنشدها البشريه).

وبعد اشهر اقترح عنان ان تكون هناك مداوله قانونيه حول كتاب الامام علي إلى مالك الاشتر .

اللجنه القانونيه في الامم المتحده بعد مدارسات طويله طرحت هل هذا يرشح للتصويت ؟ وقد مرت عليه مراحل ثم رشح للتصويت وصوتت عليه الدول

بانه احد مصادر التشريع الدولي .

هذه فقره من وثيقه واحده من وثائق الامام علي عليه السلام تحفة الرسول الاكرم لامته وللاسره البشريه ..

لنذكر ثلاث لقطات ترتبط بالتعايش خارج هذه الوصيه ،مما هو اكثر خصوصيه ويسلط الضوء على الممارسه والتطبيق في حياته عليه السلام :

الامام يمشي مع النصراني إلى قاضيه ليتحاكم كاحد الرعيه وقاضيه يقضي عليه مصيب فلا يرفض عليه السلام الحكم !

روى ابن الاثير في التاريخ (الكامل) ان عليا عليه السلام وجد درعا عند نصراني فاقبل إلى شريح قاضيه وجلس إلى جانبه يخاصم النصراني مخاصمة رجل من رعاياه وقال :ان هذه درعي لم ابع ولم اهب فقال للنصراني :ما يقول امير المؤمنين ؟فقال النصراني :ما الدرع الا درعي وما امير المؤمنين عندي الا بكاذب فالتفت شريح إلى علي عليه السلام فقال :هل من بينه ؟قال لا فقضي شريح حبها للنصراني .فمشى هنيئة ثم اقبل فقال :اما نا فاشهد ان هذه احكام النبيين امير المؤمنين يمشي بي إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه !اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الدرع والله درعك يا امير المؤمنين كما في كتاب بحار الانوار ج٩٧ص ٢٩١.

هذه القصه رويت في الكتب الفقهيه في باب القضاء .

هل راى الشرق والغرب نموذجا كهذا ؟

انها قمة الخضوع لسيادة القانون لاستقلال القضاءولمساواة الجميع امام القضاء دون تمييز بسبب الدين او الموقع او المسؤوليه .

وهل للتعايش السلمي طريق غير النمو والتاصل في كنف ممارسات كهذه ؟

يجيب (شبلي شميلو) على السؤال المتقدم قائلا :ان علي عليه السلام امام بني الانسان ومقتداهم ولم ير الشرق والغرب نموذجا يطابقه ابدا لا في الغابر ولا في الحاضر كتاب الامام علي صوت العداله الانسانيه ج١ ص٧

الامام علي عليه السلام قائد الدوله يعدل عن طريقه ليشايع صاحبه النمي .

ورد عن الامام جعفر الصادق حكاية عن جده امير المؤمنين عليهما السلام :حيث صاحب ذميا في الطريق فقال له الذمي :اين تريد يا عبدالله ؟

قال (ع) اريد الكوفه فلما عدل عن الطريق الذمي عدل معه امير المؤمنين (ع) فقال له الذمي لم عدلت معي ؟

فقال امير المؤمنين (ع) هذا من تمام الصحبه ان يشيع الرجل صاحبه هنيئة اذا فارقه وكذلك امر نبينا وفيه ان الذمي اسلم بذلك .كما في كتاب العلاقات الاجتماعيه ص٣٢٣

كيف يصف الامام من رفع السلاح ومارس الارهاب

يقول الامام محمد الباقر عليه السلام ان جده عليا عليه السلام لم يكن ينسب احدا من اهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق ولكنه كان يقول(هم اخواننا بغوا علينا).كما في كتاب (وسائل الشيعه)ج١١ص٦٢

اجل لم يجتهد امير المؤمنين في نشر ثقافة التعايش فحسب بل ساهم في انشاء وبناء وصناعة وعي فردي وجمعي من اجل تعايش ايجابي مستدام ومسؤول فكان في سلوكه الرسمي وغير الرسمي والفردي والاجتماعي وفي كل الظروف والاحوال اية وقدوة للتعايش ودعائمها لينقل التعايش بمقوماته من الرصيد المعرفي كي يترجم التعايش في السلوك والقرار .

فاين نحن اليوم من ثقافة التعايش مع هذا الرصيد الهائل ؟

لماذا نسقط المطلقيه على الدين ؟

في الوقت الذي لا يسمح الدين بالمطلقيه حتى في اهم الامور العقائديه واعني تحديدا :

الايمان فالتعدديه هي الاصل حتى في الايمان.

كيف؟

ورد عن عبد العزيز القراطيسي قال :قال لي ابو عبدالله الصادق عليه السلام (ياعبد العزيز ان الايمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شئ حتى ينتهي إلى العاشره فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك واذا رايت من هو اسفل منك بدرجة فار فعها اليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره فان من كسر مؤمنا فعليه جبره)كما ورد في كتاب بحار الانوار ج٦٦ص١٦٥

فمنطق حصر الالوان في الاسود والابيض مرفوض حتى فيما يرتبط بالايمان كما هو الاقصاء والتسقيط كذلك حتى لو برز بعباءة الايمان، فللتسقيط بدايه بلا نهايه ومن اسقط سيسقط بعد حين .

لقد عمل الامام علي بن ابي طالب عليه السلام لتكريس التعايش بزرع مقوماتها مفهوما وممارسه كالتعدديه والتسامح واللاعنف والعداله كما تقدم فالمفاهيم هذه بلا عداله تبقى مفاهيم نظريه عصية على التطبيق ولا تتعدى عن كونها معلومه من المعلومات وحلما من الاحلام لذلك نرى الامام نذر نفسه الطاهره لتكريس وتاصيل مقومات التعايش وعلى راس تلك المقومات العداله في كل خطوه وفي جميع الاحوال والمراحل فحول التعايش إلى اصل معرفي فعبر به من دائرة الفكر إلى دائرة القرار ومن غربة النظريه إلى واحة الممارسه فامست بعدالته قادره وفاعله على رفد التعايش بسر الحياة والخلود حتى استشهد لعدالته كما يقول الكاتب المسيحي جبران خليل جبران :((قتل

علي في محراب عبادته لشدة عدله).

ان اليونسكو قد تنبهت لاهمية التعايش ومنذ سنوات اعتبرت شعار (تعلم للعيش مع الاخرين) احد الاعمده الثلاثه الاخرى (تعلم لتعرف) (تعلم لتعمل) (تعلم لتكون) .

وتعلم العداله من الامور الهامه لانعاش التعايش واحد اعمدته المطلوبه في أي نظام تربوي .واعتبار كتاب نهج البلاغه مصدرا من مصادر النظام التربوي الدولي .

الخاتمة

- بن ملجم
- الليلة التاسعة عشر
- وداعا يا أبا الحسن

بن ملجم

يا وجه الشؤم

يا منخر القيح

يا قبيح الملامح والكلام

يا ناكر النعمة والجميل

يا حثالة التاريخ

يا براثن الغدر

ياذابح القضاء

ياثاكل المسلمين

يامروع المصلين

يامن هدم اركان الهدى

ياسافك الدم في المسجد الشريف

يامن لعنك الله إلى يوم الدين

يامن هزت السماء لجريمتك

وبكت الدنيا من عملك

وضحكت الدنيا من جبنك وحقارتك

ولكن !

تهدمت والله اركان الهدى

ايها المجرم الفاتك الذي يسلب الخزائن انفاسها ،والاجسام ارواحها ،لست احمل عليك من العتب ،لان جرمك فوق ما يتحمله التاريخ،ايها الملعون ابد الدهر ،ايها القابع في الجحيم ،اشتريت الدنيا بنيران جهنم،لا انظر اليك بعين التي نظر بها الزمان اليك،لانك غدرت بالزمان واثكلته ،وذبحت الوفاء وابكيته ،ايها الغادر اللئيم ،كشرت عن انيابك ايها الافعى الرقطاء ،شاركوك بالجريمة عصبة خائنة من حثالات الزمان،بقتل علي المرتضى،علي الذي ارهب من خان الاسلام وكتب صفحة الخوارج .علي طفرة الدهر وحكاية التاريخ وملحمة العصور علي النبراس ونور الوجود .

ابن ملجم...ايها الوجه الكالح..المغبر....اذا ترى انك قد تمكنت من ايداء جريمتك فوالله انك قد شربت من نيران جهنم وسكنت نيرانها ..ابن ملجم ..انك معلق بسلاسل الخزي وارتديت اقذر ثوب يلبسه المرء ...ابن ملجم لا اعاتبك لانك لا تستحق العتاب ولكن اكنيك بالخسة والعار،كفرت بالشرائع وفتحت فجوة لايلحمها القدر وصدعة في الاسلام ...ابن ملجم صاحبت الشيطان لانك جبان ...اغرك المنافقون وضحك عليك الواهمون ان يمسحوا دين محمد، ،اولئك الذين باعوا الاخرة بالدنيا ،اتعرفهم ؟ اجل انك تعرفهم .هم صحبتك في طريق جهنم .

الليلة التاسعة عشر

في هذه الليلة
وبعد ان يفرغ الامام من صلاته
يقبل على طعامه
يخاطب الامام ابنته
بنية أتريدين ان يطول وقوفي
بين يدي الله
بنية مامن امرء طاب مطعمه ومشربه
الا طال وقوفه بين يدي الله
قرصان من خبز الشعير ولبن وملح
ارفعي احدهما
ترفع ام كلثوم اللبن
يفطر الامام بالخبز والملح
وكان الامام في تلك الليلة
يكثر من الخروج
ينظر في السماء ويقول :
هي هي والله
الليلة التي وعدني رسول الله
ان القي ربي فيها
ويكثر من قول
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
اللهم بارك لي بلقاءك
يصلي حتى اذا ذهب معظم الليل
يهم بالخروج

يعلق رداءه في مسمار بالباب

ينحل المئزر

يردد الامام

اشدد حيازيمك للموت

فان الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت

اذا حل بواديكا

كما اضحكك الدهر

كذاك الدهر يبكيكا

يدخل الامام المسجد

يصعد المأذنة

يؤذن

لم يبق في الكوفة بيت

الا اخترقه صوته

ينزل من المئذنة

يوقض النيام

يردد

ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

قم يا هذا من نومتك

فانها نومة الشياطين

يصلي

وكان الامام يطيل الركوع

يتم الركعة الاولى

يرفع رأسه

يهوي سيف ابن ملجم على غرته الكريمة
يهتف الامام
بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله
فزت ورب الكعبة
يد بيضاء تمسح على رؤوس يتامى بلا عدد
رايات سود يمتلىء بها الوادي المقدس
الفجر يفتح قميصه لريح مفاجئة
يحلم طفل
امي رأيت سراجا يتهشم
ورأيت رجالا ونساء
تتراكض نحو جهات مجهولة
بكاء حزين يقطع نياط القلب
جبرائيل ينادي بين السماء والارض
تهدمت والله اركان الهدى
وانفصمت العروة الوثقى
انه امير القلوب الحزينة
هو ليس الذي سار على الماء
ولا الذي تجلى له الرب
وناجاه وكلمه
هو الذي مس جبينه التراب
فسمي ابو تراب
هو علي
وهو الولي والوصي
سيف الله الذي قصم ظهر الشرك

هو من يبكي بكاء اليتيم
اذا سكن الليل
لا يجد ما يأكله
لان كفه لا تمل العطاء
ما زالت صيحته تأتي من اعماق التاريخ
فزت ورب الكعبة
هو ابن عم المصطفى
وريثه
وصنوه
وحامل الراية
هو علي
وكفى بذلك مخبرا
يوصي علي بقاتله خير ا
بالله عليكم
طيبوا مطعمه ومشربه
كونوا اكرم منه
بني حسن اذا انا مت
من ضربته هذه
فاضربوه ضربة بضربة
ولا يمثل بالرجل
فاني سمعت الرسول يقول
اياكم والمثله ولو بالكلب العقور

وداعا يا ابا الحسن

رحمك الله يا ابا الحسن

كنت اول القوم اسلاما

واخلصهم ايمانا

واشدهم يقينا

واخوفهم لله

واعظمهم عناء

واحوطهم على رسول الله (ص)

وآمنهم على اصحابه

وافضلهم مناقب

واكرمهم سوابق

وارفعهم درجة

وأقربهم من رسول الله(ص)

واشبههك به هديا وخلقا وسمتا وفعلا

واشرفهم منزلة، واكرمهم عليه

فجزاك الله عن الاسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيرا

فالحقك الله بنبيه

ولا احرمنا اجرك

ولا اضلنا بعدك

سيدي ابا الحسن

سيدي ابا الحسن

اين الكوكب الزاهر الذي كان يتنقل بين المسلمين ؟

اين البطل الهمام الذي قاد المعارك؟

اين القائد الطائر الذي كان يحلق في دنيا العدل؟

اين الامام الذي كان يطلع شمسا في صباحك،وبدرا في مسائك؟

اين الاعلام والبنود .

بقت الشفاه التي تلثم ترابك.

والافواه التي تقبل اعتابك.

والرؤوس التي تطرق لهيبتك.

والقلوب التي تخفق لروعتك.

اين الصوت الذي كان يجلجل ،فيقرع أذن الجوزاء؟

ويهدر فتلتفت عيون السماء .

كيف استطاع الغدر ان يمد يده اليك ؟

كيف استطاع الدهر ان يفتت شملك؟

كيف استطاع القدر ان يفرق جمعك؟

كيف استطاع الزمن ان يكور شمسك ؟

كيف استطاع البوم ان يزعج انيسك؟

من يضحك ايتامك يا ابا الحسن؟

من يسر الثكلى يا ابا الحسن؟

من يعدل بعدلك يا ابا الحسن؟

من يكتب بعدك لواليه وصية،ككتابك لمالك الاشتر؟

ذهب جناحك الذي يضم المعوز اليتيم.

وفقد عطفك الذي هو عطف المرضعات على الرضيع.

فقدناك يا ابا الحسن

فقدناك يا ابا الحسن

***

المصادر والمراجع

١. الامام علي نبراس ومتراس:سليمان كتاني.

٢. الامام علي رائد العدالة الانسانية :قاسم خضير عباس.

٣. الامام علي صوت العدالة الانسانية :جورج جرداق.

٤. من حياة الامام علي(ع):السيد محمد الحسيني الشيرازي.

٥. علي سلطة الحق:عزيز السيد جاسم.

٦. سيرة الامام علي:علي محمد علي دخيل.

٧. الامام علي ومنهجه في القضاء:فاضل عباس الملا.

٨. حقوق الحيوان في الاسلام:السيد جعفر مرتضى العاملي.

٩. الامام علي مسيرة جهاد وعطاء انساني:الدكتور حسين الحاج حسن.

١٠.فلسفة الحياة :الشيخ جعفر حسن.

١١.علي بن ابي طالب رجل المعارضه والدولة:د محسن باقر القزويني.

١٢.الامام علي من المهد إلى اللحد :محمد كاظم القزويني.

١٣.عبقرية الامام علي :عباس محمود العقاد.

المحتويات

الاهداء ٥
المقدمة ٧
تمهيد ١٣
وتر الجمال ١٣
سيد الامنيات ١٦
مناجاة ١٧
مدخل ١٩
الجزيرة ٢٣
الولادة ٢٧
علي وليد الكعبة ٢٨
فاطمة بنت اسد (ع) ٣٠
ابو طالب (ع) ٣١
محمد (ص) ٣٤
الرفيق ٣٧
محمد وعلي ٣٨
فاطمة الزهراء (ع) ٤٠
اشراقة الامل ٤١
الفصل الاول ٤٣
الامام ومفاهيمه الانسانية ٤٥
التقوى في الشوط الانساني ٤٦
لحن الخلود ٤٧
علي السيرة الحميدة ٤٨
حب الشهد وجب علي ٥١

علي قارورة العطر الانساني ٥٥
الفصل الثاني ٥٩
استثمار الدهر ٦١
الاسرار والمعجزات ٦٧
حرية الدفاع ورحابة الصدر ٧٣
كنز البيان ٧٧
عيبة الناس ٨٣
علي الاوتار التي عزفت لحن الخلود ٨٦
علي (ع) وفلسفة الحياة ٨٨
الامام علي (ع) ومفاهيمه الانسانية ٩٤
حقوق الانسان ٩٤
حقوق الحيوان ٩٥
شفافية الطباع ٩٦
قانون الرفق بالحيوان ٩٨
الفصل الثالث ١٠١
الوحدة الاسلامية ١٠٤
الامام علي ووحدة الامة ١٠٥
طبيعة الوحده في نظر علي (ع) ١٠٧
الوحدة والاقليات ١٠٨
التعامل مع الاقليات السياسية ١٠٩
حرية ابداء الرأي ١٠٩
الفصل الرابع ١١١
المساواة بين الخصوم ١١٣
قسوة الطريق ١١٤
ولادة الاتاريخ ١١٧

الخوارج ١١٧
انفاث السموم ١١٨
اصحاب الغرور (طلحة والزبير) ١١٩
ريشة في مهب الريح ١٢٠
طعنة لفجر الاسلام ١٢١
الخصم معاوية ١٢٢
علي(ع) سلطة الحق ١٢٣
وقفة تأمل مع طلحة والزبير وعائشة ١٣٢
الفصل الخامس ١٣٥
السياسة المالية وضرورة اقتداء الولاة والعمال ١٤١
الاخلاق الاجتماعية ١٤١
الفصل السادس ١٤٧
رحيق محمد (ص) يعطر علي(ع) ١٥٢
علي (ع) قطرات الندى على جبين الرسول(ص) ١٥٤
علي (ع) والفضائل الانسانية ١٥٦
وصاياه للولاة ١٥٩
الانسان والحياة ١٥٩
الوظيفة الدنيوية في الوجود الواسع ١٦٤
المفهوم الترابطي بين العمل والجزاء في مساحة الوجود ١٦٦
اعداد خريطة طريق وأطر معرفة للحياة ومعاني الوجود ١٦٧
عود الزعفران ١٦٨
الفصل السابع ١٧١
الحكم والسلطة ١٧٨
نظرية الدولة ١٧٩
الرعية ١٧٩

الاقليم الاسلامي ١٨٥
السلطة السياسية ١٨٧
حب واجلال ١٨٨
الفصل الثامن ١٩١
التعايش السلمي ١٩٣
علي (ع) رسول التعايش السلمي ١٩٩
الاقتصاد والتنمية والتعايش ٢٠٢
الخاتمة ٢٠٩
بن ملجم ٢٠٩
الليلة التاسعة عشر ٢١١
وداعا يا أبا الحسن ٢١٥
المصادر والمراجع ٢١٧
المحتويات ٢١٩

الحمد لله على اكمال كتاب (علي تبر ودر)
والصلاة والسلام على سيد الكائنات محمد واله الطيبين الطاهرين
ورحمة الله وبركاته.
انتهى الكتاب

دار الفرات للثقافة والإعلام - العراق - بابل
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٠٩٣) لسنة ٢٠١٩م
Al-Furat House for Education and Information
Iraq – Babylon

المؤلف في سطور..

- الدكتور الأديب خالد مطلك الربيعي.
- مواليد ١٩٤٥محافظة ذي قار(قضاء الشطره).
- سكنة محافظة كربلاء المقدسة.
- انخرط في سلك التعليم قرابة ثلاثين عاما.
- كاتب، فنان تشكيلي، مسرحي.
- حاصل على شهادة الدكتوراه الفخرية من المانيا.
- الأمين العام لمؤسسة المسرة الإنسانية الثقافية في العراق.
- حاصل على جوائز محلية وعربية وعالمية بالفنون التشكيلية والمسرحية وشهادات تقديرية متعددة .

صدر له:

- ❖ (سفن غارقة)، ديوان شعر.
- ❖ مرايا بالكلمات.
- ❖ كتاب الاوتار التي عزفت لحن الخلود.
- قدم ١٥ معرضاً شخصياً، و٤٠ معرضاً مشتركاً.
- له مجموعة من المسرحيات والبحوث والمقالات نشرت في الصحف والكتب ومواقع الانترنيت.

الترميز الدولي

ISBN: 978-9922-9068-2-9

دار الفرات

دار الفرات للثقافة والإعلام - العراق - بابل

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٠٩٣) لسنة ٢٠١٩م

Al-Furat House for Education and Information

Iraq – Babylon